سمات التعليم الأرثوذكسى

الأنبا موسى
الأسقف العام

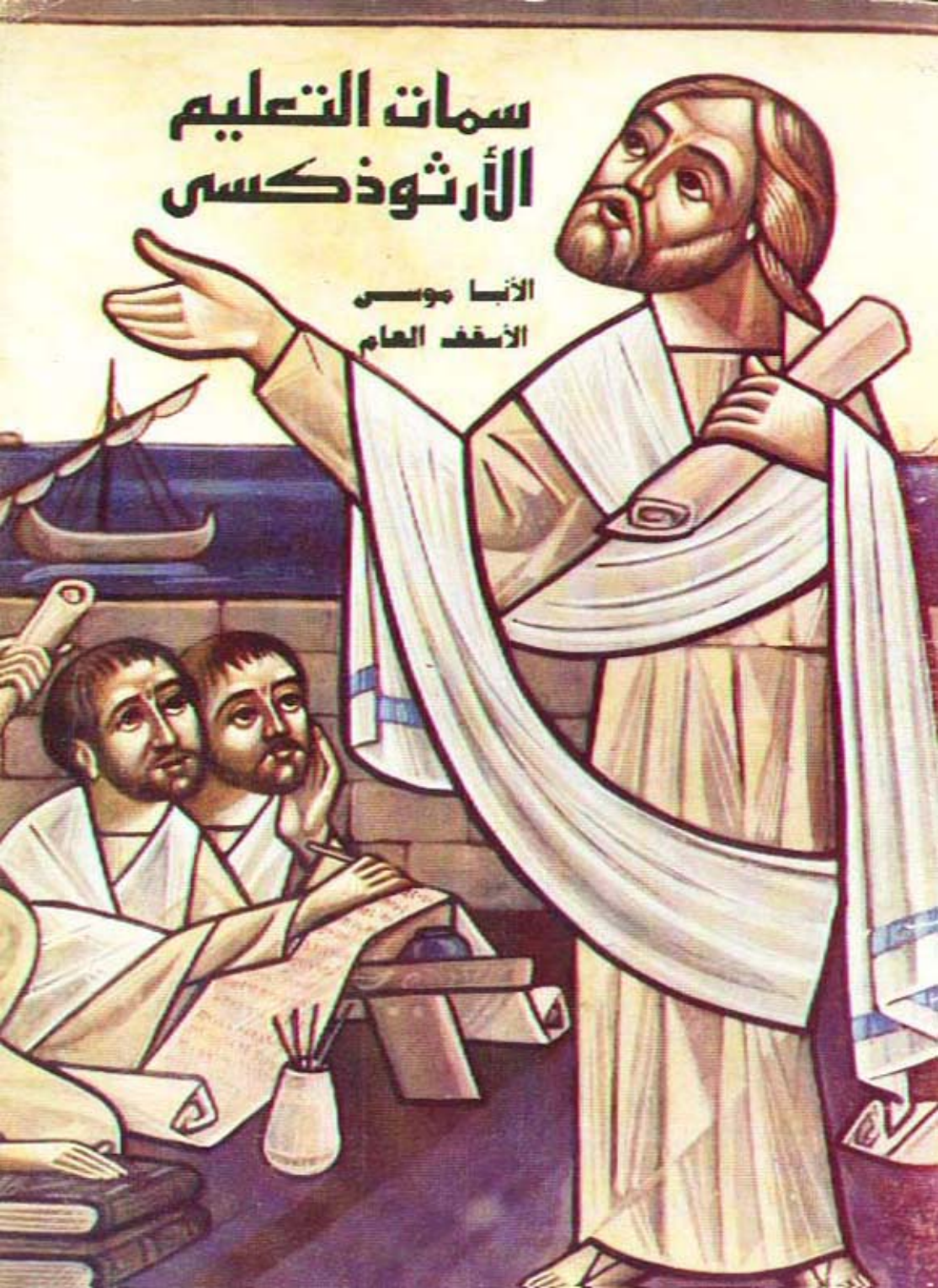

بطريركية الأقباط الأرثوذكس
مكتبة أسقفية الشباب

سمات التعليم الأرثوذكسى

- تعليم كتابى .
- تعليم لاهوتى .
- تعليم ليتورجى .
- تعليم جماعى .
- تعليم روحانى .
- تعليم متكامل .

الأنبا موسى
الأسقف العام

قداسة البابا شنودة الثالث

مقدمة

التعليم عمل جوهرى من أعمال الكنيسة. فقديماً قال الكتاب : **"هلك شعبى من عدم المعرفة" (هوشع٤ : ٦)**. ولاشك أن المعرفة أساسية فى الخلاص، فقد امتدح الرسول بولس تلميذه تيموثاوس قائلا : **"وأنك منذ الطفولية، تعرف الكتب المقدسة، القادرة أن تحكمك للخلاص، بالايمان الذى فى المسيح يسوع" (٢تى٣ : ١٥)** .

لذلك يجب أن تقدم الكنيسة لأبنائها تعليماً كاملا نقياً، خال من الشوائب، فى وقار وإخلاص، لبنيان نفوسهم على الإيمان الأقدس، الذى سلمه لنا القديسون (يه ٣) .

وللتعليم الأرثوذكسى ملامح خاصة، اتسم بها عبر العصور، واستطاع أن يجهز للرب جيشاً من القديسين والقديسات، والشهداء والشهيدات، إذ أنه لم يغفل جانباً من جوانب الحياة، بل كان متكاملا وفعالا عبر الدهور. ومن **الملامح الهامة للتعليم الأرثوذكسى أنه :**

١ - تعليم كتابى **٢ - تعليم لاهوتى**

٣ - تعليم ليتورجى **٤ - تعليم روحانى**

٥ - تعليم جماعى **٦ - تعليم آبائى**

٧ - تعليم متكامل

+++

١
تعليم كتابى

فهو يستند إلى فهم صحيح للكتاب المقدس بعهديه. وقد كان آباؤنا القديسون يتمسكون بروح الكتاب ونصوصه، ويعيشونه فى حياتهم اليومية. فهذا أنطونيوس العظيم، يطيع نصاً كتابياً واحداً، فيصير راهباً وأباً لجميع الرهبان فى العالم. وذاك أغسطينوس الفيلسوف البعيد عن الله، يسمع صوتاً إلهياً من سيرة القديس أنطونيوس، ومن آيات وردت فى رومية ١٣ : **"أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم"** .

ونعلم عن القديس ديديموس وغيره من الآباء أنهم حفظوا أسفاراً كاملة من الكتاب عن ظهر قلب، كما أن الآباء فسروا غالبية أسفار العهدين. ووضعوا قاعدة القراءات الكنسية، بما فيها من فكر مسيحى لاهوتى ممتاز. فصرنا نقرأ كمية ضخمة من أسفار وأصحاحات الكتاب فى القداسات الإلهية والمناسبات الكنسية المختلفة كالبصخة وكيهك وطقوس الأسرار... الخ.

إن البشارة المقدسة موضوعة دائماً على المذبح، ومرفوعة دائماً فوق الرءوس، وقداسة البابا يخلع تاجه حينما يتلى الانجيل، إشارة إلى أن السيد الرب يتكلم الآن شخصياً. كما يضاء حامل الأيقونات بالذات عند قراءة الأنجيل، مع شمعتين على جانبى الأنجيل علامة أنه النور الإلهى، الذى يضىء ذهن البشر، ويقودهم إلى طريق الخلاص. والكل يقبل البشارة فى حب، فهى الخبر السار، الذى من خلاله دخلنا إلى رحابة الحياة فى المسيح، وسرنا فى طريق الملكوت الأبدى.

إن كل عقائد الكنيسة... مأخوذة من الانجيل المقدس...
وكل طقوس الكنيسة... فيها أصحاحات كثيرة من الكتاب...
وكل صلوات الكنيسة... مقتبسة من كلمات الله فى العهدين...

لهذا يحرص المعلم الأرثوذكسى على قراءة كلمة الله، والتأدب بها فى كل يوم، واستيعابها من خلال فكر الآباء وتفسيراتهم، ثم العيش بموجبها فى الحياة اليومية، ثم تقديمها للناس فى نقاوة.

وقد حرصت الكنيسة أن تفرد درجة خاصة من درجات الشماسية للكتاب المقدس، وهى درجة «الاغنسطس» أى «القارئ»... وأوصته :

أن
+ يخدم المذبح فى خشوع وأمانة...
+ يدرس الكتاب فى حياته الخاصة والكنسية...
+ يقرأ الكتاب من على المنجلية...
+ يقدم كلمة الله للناس فى خدماته.

ومعروف أن الكتاب المقدس يدرس بعهديه، كوحدة واحدة، **"فالعهد القديم مكشوف فى الجديد، والعهد الجديد مخبوء فى القديم"** كقول القديس أغسطينوس. وقد تعلمنا من قداسة البابا شنودة الثالث **"خطورة الآية الواحدة"**، إذ لايجوز أن يكتفى الإنسان بآية واحدة، ويستخلص منها العقيدة أو المبدأ، بل يجب عليه أن يدرس روح الكتاب ككل، ومجمل آياته، حتى يصل إلى الفهم السليم للكلمة.

ومثلا يقول البعض أن المرض لعنة، والفقر لعنة، والفشل الدراسى، وتأخر الزواج، وعدم الانجاب كلها لعنات من الله على الخطاة، تتوارثها الأجيال !! بينما هذا التعليم مستند إلى سفر التثنية، حين كان الشعب فى طفولة روحية، ولا يتعلم إلا عن طريق الحسيات، وكان عهد الله معهم : **"إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم، تؤكلون بالسيف"** (اش١ : ١٩، ٢٠)... هذا العهد كانت بركاته ولعناته مادية حسية... أما العهد الجديد فيرى أن اللعنة الحقيقية للخطية، هى لعنة روحية، لعنة الأنفصال عن الله، والدمار الروحى، والهلاك الأبدى ... وأن

البركات الحقيقية للتوبة، هى الارتباط بالله، والبنيان الروحى، والميراث الأبدى. أما المرض والفقر والفشل الدراسى، وغير ذلك، فهى تجارب وليست لعنات... تجارب تصيب أولاد الله من أجل تنقيتهم وتزكيتهم ووقايتهم من الكبرياء. والا فماذا نقول أمام كلمات الرسول: **"لايقل أحد إذا جرب أنى أجرب من قبل الله، لأن الله غير مجرب بالشرور، وهو لايجرب أحداً. ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته، ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتاً"** (يع١: ١٣-١٥). هذا عن التجارب الشريرة التى تكون بسبب الخطية. ولايكون معها سلام أو بنيان، إلا إذا تاب الانسان.

أما عن التجارب الأخرى كالمرض والفقر والفشل... فيقول الرسول: **"احسبوه كل فرح ياأخوتى، حينما تقعون فى تجارب متنوعة، عالمين أن امتحان ايمانكم ينشىء صبراً، وأما الصبر فليكن له عمل تام"** (يع١: ٢، ٣)... **"طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكى ينال اكليل الحياة..."** (يع١: ١٢).

ولهذا احتمل القديسون المرض فى شكر، ولم يحسوا أبداً أنه لعنة !! بل بالعكس أحسوا أنه بركة، وشركة مع المصلوب !!

إن التعليم الأرثوذكسى تعليم كتابى، يأخذ الكتاب ككل، وقد سلمته لنا الكنيسة، معاشاً فى القديسين، ومشروحاً من الآباء !!

+++

سمات التفسير الأرثوذكسى :

الكتاب المقدس بحر واسع ومحيط شاسع، يكفى أنه كلمة الله وأنفاسه المقدسة. لذلك تتنوع التفسيرات وتتمايز وجهات النظر حسب قارىء الكتاب وظروفه الفكرية والروحية والوجدانية، ويبقى

الكتاب معصوما من الخطأ، مفتوحاً لاجتهادات المفسرين، لكن عقائد مسيحيتنا تظل مضبوطة بفكر الآباء وقوانين المجامع وما تسلمناه فى تقليدنا الكنسى.

وكنيستنا القبطية تتعامل مع أولادها باتزان فى هذا الميدان. فهى لاتمنع أولادها من التأمل فى الكتاب مباشرة، ولا تعطيهم حرية الاستنتاج العقيدى أنها تعطيهم فرصة الشبع الروحى بكلمة الله، دون شطط فى التعليم والعقيدة بل فى اطار تسليمى، جاهد آباؤنا كثيراً ليحفظوه لنا.

كان الكتاب قد استعلن جزئيا بواسطة الأنبياء والكهنة لأن المزمور والنبوات والممارسات التى عاشوها لم يكتمل معناها ويتضح الا فى المسيح. ولهذا احتاج الرسل بعد القيامة أن "**يفتح الرب أذهانهم ليفهموا الكتب**" (لو٢٤: ٤٤). ولهذا قال القديس أغسطينوس: "**ان العهد القديم مكشوف فى الجديد، والعهد الجديد مخبوء فى القديم**".

١ - المسيح يفسر لنا الأسفار :

يقول معلمنا لوقا عن الرب أنه "**أبتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب**" (لو٢٤: ٢٧). لهذا فقد كان الرب أول من فسر النصوص الكتابية وقد دعانا إلى ذلك. فان كنا نريد فهما جيداً لكلمات الله، علينا بموئلها والموحى بها، علينا بالرب يسوع، نعمق عشرتنا معه، وأستنارتنا بروحه، لنفهم ما يقوله الروح للكنائس.

٢ - الكنيسة تفسر لنا الأسفار :

يجب أن نستلم التفسير الصحيح من الكنيسة المقدسة، حيث استقر الروح القدس، وحيث يوجد الآباء الذين عاشوا فى الحق الإلهى المدون فى الإنجيل، وحيث الفهم السليم لكلمة الله، نتيجة الاستنارة بالروح القدس.

وهنا لايجب أن يضايقنا فى شىء، فهو لن يضايق الا كبرياءنا العقلى الذى لن يوصلنا إلى شىء : **"أخفيت هذا عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال"**.

قال القديس أغسطينوس : «لما كنت شابا سعيت إلى فهم معانى الأسفار المقدسة بقوة الادراك العقلى وليس بالتوسل الخاشع لله... فأغلقت أمام نفسى بتشامخى وكبريائى الباب الموصل إلى الله. وهكذا بدل أن أقرع فيفتح لى، صار سعى سببا فى أن يغلق أمامى... لقد طلبت فى كبرياء هذا الذى لا يقدر أن يحصل عليه سوى المتضعون».

ولهذا كان يقول أيضا : **"أنا لا أؤمن بالانجيل الا كما يوجهه سلطان الكنيسة"**. **وهكذا فأن الله يعلن نفسه للبسطاء، وهم أقدر على تفسير مقاصد الله من المتكبرين ومن يتصورون أنهم حكماء !!**

إن الكتاب المقدس جزء من التقليد الذى سلمته لنا الكنيسة، وإن كان هو الحكم على كل عقيدة أو طقس أو تقليد.

ولهذا فكنيستنا القبطية تكرم الانجيل، تقرأه وتحفظه وتحياه، وتقتبس نصوصه فى صلواتها وعقائدها، وتقدمه لأولادها مشروحاً بالآباء، ومعاشا فى القديسين.

٣ - وعى الرسل بالتفسير السليم :

كان الآباء الرسل فى وعى كامل ويقظة جبارة يسهرون على سلامة التفسير والتعليم المسيحى. فلقد نشأت المسيحية على أنقاض الوثنية بفلسفاتها وممارساتها، واليهودية بلاهوتها ومعلميها... وكان لابد أن يحاول هؤلاء وأولئك التدخل فى المسيحية لافسادها أو - على الأقل - لتفريغها من مضمونها الجوهرى وهو «خلاص الانسان بالمسيح»... لذلك سهر الرسل على الحق المسيحى، وكتبوا يفندون كافة بدع التهود أو الغنوسية وهما طريقان زائفان للخلاص : الأول عن طريق

الانتساب لليهودية والانتظام فى فرائضها الميتة الرمزية، والآخر عن طريق التأمل العلاقنى البشرى... وحقاً، كلاهما طريق زائف دحضه الرسل فى كتاباتهم ورسائلهم مثل رومية وغلاطية وكولوسى ويوحنا... ففى رومية شرح الرسول جوهر التبرير بالإيمان العامل بالمحبة، وفى غلاطية حارب التهود والعودة إلى الأركان الضعيفة، وفى كولوسى حارب التهود والغنوسية وعبادة الملائكة وقهر الجسد... هذه الأمور الوثنية المهلكة. أما القديس يوحنا فكان يؤكد حقيقة جسد المسيح ضد هرطقة الدوسيتيين الذين تصوروا جسد الرب غازيا أو خياليا، وهم بهذا يحرموننا من أعز بركات التجسد وهى بركة الاتحاد بالله وشركة الطبيعة الإلهية.

٤- وعى آباء الكنيسة بالتفسير السليم :

كان آباء الكنيسة العظام يستلهمون الانجيل فى كل أعمالهم ومناهج حياتهم ونسكهم، لذلك جاءت حياتهم انجيلية مستنيرة. ولم يكن تفسيرهم للانجيل علمياً أو عقلانيا، بل كان عمليا يهدف إلى خلاصهم وبناء نفوسهم وأرشادها. لهذا قال القديس أنطونيوس : "الكتب المقدسة كافية لتعليمنا"... ويقال عن رسائل باخوميوس أنها تبدو «كملخص للكتاب المقدس». وكان تلميذه القديس تادرس يستخرج لأولاده فصولا من الكتاب تناسب حالتهم. إذ يقول القديس آمون أن أولاده كانوا يتقدمون إليه طالبين منه أن يكشف لهم عيوبهم. فكان يسترجع لكل منهم فصلا من الكتاب المقدس ويقرأه أمامه، فيعود الابن بقلب تائب وعيون ملآنة دموعاً.

لقد أحبوا الكتاب المقدس، وعاشوه وقرأوه بانتظام حتى حفظوه. وهكذا صارت حياتهم أناجيل مضيئة... يقول التاريخ عن انطونيوس : "إذا أردت أن أقرأ ففى كتاب الله أقرأ" . وقال القديس سيصوى : "أنا أقرأ الأسفار العتيقة ثم أرجع إلى الحديثة" ... وهنا ندرك تقديس للآباء بالتساوى للعهدين القديم والجديد معاً بعكس ما يدعه البعض فى هذه الأيام.

ولم يكتف الآباء بتفسير الأنجيل من الزاوية الروحية الحياتية فقط، بل ان بعضهم تخصص فى تفسير الكتب المقدسة بطريقة علمية وفكرية ايضا. وهكذا فسروا غالبية الأسفار مثل : كليمندس الاسكندرى وأوريجانوس فى القرن الثالث، ويوسابيوس القيصرى وكيرلس الأورشليمى وأثناسيوس الرسولى وباسيليوس وغريغوريوس النزينزى والنيصى فى القرن الرابع، وذهبى الفم وكيرلس الاسكندرى وجيروم وأغسطينوس فى الخامس.

ومع أن بعض المفسرين حاولوا أن يخرجوا بالمسيحية عن بساطتها ويجعلوا منها منهجاً فلسفيا (مثل أوريجانوس) متأثرين بمناهج الفلسفة اليونانية. الا أن الكنيسة كانت ساهرة على التعليم المسيحى فحفظته من كل انحراف وتزييف، حتى ولو كان بحسن نية. وهكذا جاءت قرارات المجامع المسكونية خير حافظ لسلامة التعليم ودقة التفسير.

الخلاصة : نحن نستقى تفسيرنا للكتاب المقدس من :

١ - **الرب يسوع نفسه** : حياته وأعماله وشركتنا معه وأشراقة روحه فينا.

٢ - **الآباء الرسل** : وقد سهروا على حفظ التعليم المسيحى من كل انحراف يهودى أو وثنى.

٣ - **الجماعة الكنسية** : جسد المسيح... حتى لاينحرف أحد بفكره الفردى.

٤ - **اباء الكنيسة** : وقد عاشوا الانجيل فى حياتهم اليومية، وفسروه فكريا، وحفظوا التعليم المقدس.

٥ - **قوانين المجامع** : وقد حددت التعليم المسيحى بطريقة قانونية تحفظه من أى تدخل مفسد.

إذن فلنشبع بالانجيل، نتأمل كلماته، ونشبع بتعاليمه، ونسبح فى بحاره، لكن يحدنا تراث ضخم سلمته لنا الكنيسة، فنحن لا نبدأ من فراغ.

٢
تعليم لاهوتي

إن كلمة «ارثوذكس» مكونة أصلا من مقطعين «أرثو = استقامة»، «ذكسا = مجد»، أي أن معناها "**الطريقة المستقيمة في تمجيد الله**". ليس فقط من حيث استقامة التعليم، بل أيضا من حيث استقامة الحياة والسلوك.

من هنا ندرك ضرورة أن يربط التعليم الأرثوذكسي بين العقيدة والسلوك اليومي. ولاتشعر - حينما تستمع إلى متحدث ارثوذكسي - أنه يتجاهل العقيدة ويكتفي بالحديث الروحي. فالعقيدة هي ماانعقدت عليه الحياة. إذا تكلم الواعظ الأرثوذكسي عن الله. أعطانا فكرة عن وحدانية الجوهر، وتثليث الأقانيم. فالكنيسة الأرثوذكسية ترى أنه «**لا حياة بدون لاهوت، ولا لاهوت بدون حياة**". أي أنها ترفض أن يبقى اللاهوت مجرد أفكار ونظريات سليمة، منفصلة عن الحياة والسلوك. وترفض أن يكون علم اللاهوت نشاطاً فكرياً محضاً، لاينسحب على الحياة الداخلية : فتلتهب حباً في الرب، والخارجية : فتسلك سلوكاً أميناً. والكنسية : فيتحد الإنسان بالرب يسوع رأس الكنيسة، وبأعضائها السمائيين، وبأخوته المؤمنين.

إذا تحدث الواعظ الأرثوذكسي عن الفداء، لم يكتف بالاشارة إلى دم المسيح، بل أنه يشرح لاهوت الفداء، واشتراك الأقانيم فيه، ومسئولية المؤمن إزاءه.

وإذا تحدث عن التجسد، لا يكتفي بالتأمل الروحي فقط، بل يغوص مع القديس أثناسيوس الرسولي، في أبعاد التجسد الإلهي، ودوره في خلاصنا وفدائنا، وامكانية اتحاد الله بنا. لهذا قال القديس أثناسيوس : "**لو لم يكن المسيح إلهاً، فكيف يمكن أن أصير إبناً**

لله ؟". وقال العلامة اوريجانوس : "اللاهوتى هو الانسان الذى يعرف كيف يصلى". وقال الآباء فى القديم : "اللاهوتى هو الشهيد"!

لهذا تصدت الكنيسة لكل انحراف لاهوتى أو عقيدى، لا لمجرد التمسك بالتسليم الرسولى القديم، ولكن لأن هذا الإيمان اساسى لحياتنا اليومية، وخلاصنا الأبدى. وهكذا نفهم لماذا وقفت أمام آريوس، الذى انتقص من ألوهية الرب يسوع، لأنه بذلك جعل الفادى محدوداً، والفداء ناقصاً، مما يجعلنا نخسر بركات الفداء الإلهى غير المحدود، ونهلك ! كما تصدت بعد ذلك لمقدونيوس، الذى انتقص من ألوهية الروح القدس، الذى ينقل إلينا بركات الفداء. ثم تصدت لنسطور الذى فصل بين اللاهوت والناسوت، خشية أن تحرمنا هرطقته من سكنى الله فينا... وهكذا.

ولعل رسائل معلمنا يوحنا تعطى أقوى مثل لأهمية اللاهوت فى تعليمنا، حينما تصدى للذين انكروا التجسد، سر التقوى. فما أخطر أن يترفع اللاهوت عن الناسوت، ولايحل فيه... فهذا معناه أن الله سيرفض أن يسكن فينا... كيف إذن سنحيا معه فى الأبدية ؟!

ورسائل معلمنا بولس، تحفل بالفكر اللاهوتى المسيحى فى بداياتها، ثم بالتطبيق العملى فى نهاياتها، وهكذا يربط بين اللاهوت والحياة... وهذا هو المنهج الأرثوذكسى !

+++

وهذه بعض الأمثلة اللاهوتية الهامة :

مثال ١ : الثالوث :

اولا : يجب أن نؤكد على وحدة الجوهر :

١ – ففى قانون الإيمان نقول كل يوم : «بالحقيقة نؤمن بإله واحد».

٢- وفى البسملة نقول : «بأسم (لا بأسماء) الأب، والابن والروح القدس، اله واحد أمين».

٣- والكتاب المقدس حافل بآيات التوحيد : **"اسمع ياإسرائيل الرب الهنا رب واحد"** وقد وردت فى العهدين : (تث٦:٤) (مر١٢:٢٩).

٤- حتى الشياطين تؤمن بذلك **"أنت تؤمن أن الله واحد، حسنا تفعل والشياطين يؤمنون ويقشعرون"** (يع٢ :١٩).

+++

نحن أذن لا نشرك بالله ولا نؤمن بتعدد الآلهة ولا نرضى بالتثليث الذى كفره الاسلام. كل ما فى الأمر أننا نعمن النظر فى الجوهر الإلهى الذى أتاح لنا من خلال الوحى والتجسد أن نعرف هذا السر فيه وهو سر الأقانيم الثلاثة فى هذا الجوهر الواحد... فما معنى كلمة أقنوم ؟

ثانياً : يجب أن نؤكد على الثلاثة أقانيم :

١ - معنى كلمة أقنوم : Hypostasis

Hypo = تحت Stasis = يقف

أى أن الأقنوم هو **"الخاصية الذاتية التى بدونها لايقوم الجوهر الإلهى"** مثل :

١- **خاصية الوجود** : فالله واجب الوجود، وبدونه لا يكون وجود ويستحيل أن يكون ألهنا العظيم بدون هذه الخاصية.

٢- **خاصية الحكمة** : لابد وأن يكون الله حكيما، بل هو كلى الحكمة ومستحيل أن تأتى لحظة يكون فيها الله بدون هذه الخاصية.

٣- **خاصية الحياة** : فهو واهب الحياة، ويستحيل أن يكون ولو للحظة بدون هذه الخاصية. الله أذن كائن بذاته، ناطق بكلمته حى بروحه. خاصيات ثلاثة (أقانيم) بدونها لا يقوم الجوهر الإلهى.

٢ - المعانى وراء التسمية :

+ نسمى خاصية الوجود «أقنوم الأب» وهى كلمة سريانية معناها «الأصل».

+ ونسمى خاصية الحكمة «الابن» وهذا لايعنى ولادة حسية تناسلية. فنحن نقول: ابن مصر، وابن النيل، وبنت شفه، وبنات الأفكار. ولكن الكلمة تعنى المساواة فى الأقنومية، والوحدة فى الجوهر. فكما يتساوى الابن مع أبيه فى أن يرث عنه صفاته واسمه وماله. كذلك الحكمة تتساوى مع الكيان فهما جوهر واحد يستحيل أن يتواجد أحدهما دون الآخر.

+ ونسمى خاصية الحياة «الروح» لأنه تعبير يومى (روح الانسان هى حياته).

٣ - تشبيهات هامة :

(أ) الشمس :

+ قرص الشمس يمثل الأصل، الأب.
+ أشعة الشمس تمثل الابن، مولودة من القرص.
+ الحرارة تمثل الروح القدس، منبثقة من القرص.

كما أن أشعة الشمس ترسل لنا الحرارة فى طياتها ولكن لاتبعثها، كذلك الابن المولود من الأب قبل كل الدهور ولادة النور من النار، يرسل لنا المعزى «الذى من عند الاب ينبثق» فالارسال أذن غير الانبثاق.

(ب) الحياة العقلية :

تتكون من : أدراك + وجدان + نزوع. هذه الثلاثة تتمايز دون أن تنفصل، فالادراك للفهم، والوجدان للأحساس، والنزوع للحركة. لكن الثلاثة يشتركون معاً فى كل هذا :

+ فحين تحل مسألة حسابية يكون العبء على الادراك. لكن الوجدان والنزوع يعملان معه.

+ وحين نرسم لوحة طبيعية يكون العبء على الوجدان. لكن الأدراك والنزوع يعملان معه.

+ وحينما نشترك فى مسابقة جرى. يكون العبء على النزوع، لكن الأدراك والوجدان يعملان معه. الثلاثة يتمايزون ولا ينفصلون.

٤ - عمل الأقانيم ووحدتها :

الآب يخلق، والابن يفدى، والروح يقدس، لكن أحدا لا ينفرد بالعمل بغير الأقنومين الآخرين.

+ الآب يخلق بالابن وينفخ روحه فى البشر.
+ الابن يفدى، والأب يبذل أبنه، والروح ينقل إلينا بركات الفداء.
+ الروح يقدسنا، بمشيئة الأب، وفداء الابن.

الثلاثة يتمايزون فى عملهم دون انفصال لأنهم جوهر واحد.

* خاصية الوجود مسئولة عن الوجود ولكنها لا تنفصل على الحكمة والحياة... بستحيل.
* وخاصية الحكمة مسئولة عن الحكمة فى الله ولكنها لاتنفصل عن وجود الله وحياته.
* وخاصية الحياة مسئولة عن الحياة فى الله، لكنها لا تنفصل لحظة عن حكمته أو كيانه.

إنه الإله الواحد فى الجوهر والمثلث فى الأقانيم.

+++

مثال ٢ : التجسد : لماذا التجسد ؟

سؤال هام هو المسيحية كلها : سؤال طالما أثير فى كل مكان وزمان. سؤال أستدعى أن يسطر الوحى الإلهى على يدى معلمنا يوحنا الحبيب إنجيله ورسائله ليوضح لنا حتمية التجسد لخلاص البشرية.

وإستحالة الخلاص دون الإيمان بتجسد الله الكلمة. ففى إنجيل معلمنا يوحنا يستهل الوحى حديثه بالتحليق فى آفاق اللاهوت العليا : "**فى البدء - أى فى الأصل، ومنذ الأزل - كان الكلمة، والكلمة عند الله، وكان الله الكلمة**" (أى اتخذ له جسداً فهو لم يكف عن كونه كلمة الله)، وحل بيننا، "**ورأينا مجده**" (يو١ :١٤).

وفى رسائل معلمنا يوحنا يعتبر الرسول (بوحى من الله طبعاً) أن : "**كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه جاء فى الجسد، هو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه جاء فى الجسد فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح، الذى سمعتم أنه يأتى والآن هو فى العالم**" (١يو٤ :٢،٣). ولقد قصد الله أن يبقى يوحنا الحبيب، الذى طالما اتكأ على صدر السيد المسيح، حتى نهاية القرن الأول شاهداً أميناً على الفكر اللاهوتى المسيحى السليم كما تسلمه من الرب نفسه. فبينما استشهد بقية الإثنى عشر وحتى بولس الرسول قبيل سنة ٧٠ ميلادية، بقى يوحنا الحبيب حتى نهاية القرن الأول تقريباً لتثبيت العقيدة المسيحية السليمة فى مواجهة العديد من الهرطقات مثل :

١ - هرطقة الغنوسيين :

الذين تصوروا أن الخلاص يمكن بالمعرفة العقلانية حيث كلمة Gnoses - Konwn أى يعرف. وقالوا أن التأمل العقلانى يطهر النفس ويخلصها. وأن السيد المسيح مجرد إنسان حل عليه روح علوى.

وإذا سلمنا بهذا فقدنا كل شىء، فالخلاص بالعقل يلغى ضرورة التجسد والفداء. وأن يكون المسيح إنساناً. فمعنى ذلك أن من فدانا محدود. ففداؤه ناقص. لهذا رفضت الكنيسة هذه البدعة الخطيرة.

٢ - هرطقة التهود :

التى سادت لفترة على حياة بعض اليهود الداخلين إلى المسيحية -

حيث لم يستطيعوا التحرر بسرعة من أمجاد العبادة القديمة الشكلية وطقوسها وفرائضها الرمزية. فانبرى لهم معلمنا بولس الرسول ليوضح لهم أمجاد المسيح والمسيحية، خصوصاً فى رسالته إلى العبرانيين التى مفتاحها هو كلمة «أفضل». فالسيد المسيح أفضل من الملائكة بما لايقاس (ص ١: ٢). وأفضل من موسى (ص ٣)، ومن يشوع (ص ٤). ومن هرون (ص ٥)، ووعده هو الأثبت (ص ٦)، وذبيحته كانت ترمز إليها تقدمة ملكيصادق (ص ٧) : وكهنوته أفضل من كهنوت هرون (ص ٨). وعهده أفضل من العهد القديم (ص ٩). وأقداسه أفضل من أقداس الهيكل (ص ١٠). والإيمان به هو سر خلاص الآباء (ص ١١). وناموسه أكمل من ناموس موسى (١٢). ودمه أفضل من دم الذبائح (ص ١٠، ١٣).

٣ - هرطقة الدوسيتيين :

الذين تصوروا جسد السيد المسيح غازياً وخيالياً، معتقدين أن المادة لا يليق أن تدخل إلى حياة الله. وهى البدعة التى تجددت فيما بعد بواسطة أوطاخى. وما زالت أصداؤها ترن فى التساؤلات حول التجسد إذ يتساءلون :

أ - هل التجسد ضد طبيعة الله ؟
ب - هل التجسد ضد قداسة الله ؟
ج - هل التجسد ضد قدرة الله ؟
د - لماذا التجسد... ألم يكن هناك حل آخر سواه ؟
هـ - ما مدلول التجسد فى حياتنا ؟

وهذه الأسئلة الهامة يجب أن نستوعب إجابات عليها لعدة أسباب :

أولا : للتثبت من إيماننا الصخرى، الذى تحطمت على صخرته كل الهرطقات.

ثانياً : لندعم أخوتنا فى المسيح على أساس المعرفة الأساسية اللازمة

للخلاص، إذ يقول الكتاب المقدس : "**هلك شعبى من عدم المعرفة**".

ثالثاً : لأن التخلى عن عقيدة التجسد هو بعينه التخلى عن نصيبنا فى المسيح وفى الملكوت. فما دام الله يستنكف أن يتخذ له جسداً إذن، فهو لن يسكن فينا، وهذا هو الهلاك بعينه، إذ كيف نحيا معه فى الملكوت ونحن لا نشبهه قط.

لهذا قال الرسول : "**عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد**" (١تى٣ : ١٦). فالتجسد إذن هو سر التقوى الإنسانية، وبالتالى الخلاص الأبدى.

+++

مثال ٣ : الفدا. : ماهى مواصفات الفادى المطلوب :

إن مهمة الفادى خطيرة، فهو لابد أن تتوافر فيه صفات معينة مثل :

١- يجب أن يكون الفادى **إنساناً**، فالإنسان هو الذى سقط، والفادى سيمثله فى حمل القصاص.

٢- ويجب أن **يموت** هذا الفادى، لأن "**أجرة الخطية هى موت**" (رو٦ : ٢٣)، ولأن حكم الله على آدم وحواء كان هو الموت "**موتاً تموتا**" (تك٢ : ١٨).

٣- ولكن هذا الفادى يجب أن يكون غير محدود، ليستطيع وفاء الدين غير المحدود على الإنسان، وذلك - كما ذكرنا - لأن الخطية كانت موجهة ضد الله غير المحدود، ولأن البشرية كلها ساهمت بنصيب فى هذا الدين فصار ضخماً جداً.

٤- كذلك يجب أن يكون الفادى **بلا خطية**، لأن فاقد الشىء لا يعطيه، إذ كيف يفدينا وهو خاطىء يحتاج لمن يفديه ؟

ه- ويجب أن يكون خالقاً لأن المطلوب منه ليس فقط الغفران، ولكن تجديد خلقة الانسان، بالروح القدس.

وأمام هذه المواصفات كان لابد من التجسد، لماذا ؟

إذن... التجسد هو الحل :

لأن أقنوم الكلمة، الحكمة الإلهية، حينما إتخذ له جسداً وحل بيننا صار قادراً أن يفدي الإنسان، محققاً كل **المواصفات المطلوبة** :

أ- فبناسوته : هو إنسان، يموت.

ب- وبلا هوته : هو غير محدود، بلا خطية، خالق.

وهكذا إستطاع رب المجد أن يحل مشكلة فساد الطبيعة البشرية، بأن «أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له». أى أنه حمل خطايانا، وبررنا ببره كما أنه أخذ جسدنا بلا خطية، وأعطانا شركة طبيعته الإلهية.

هل هناك حل آخر ؟ مستحيل !.

+++

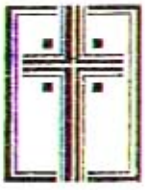

٣
تعليم ليتورجى

وكلمة «ليتورجيا» معناها «العمل الجماعى أو الشعبى». وتحددت فيما بعد لصلاة القداس الإلهى فى سر الأفخارستيا.

والأفخارسيتا فى كنيستنا، وحسب الكتاب المقدس، هى اجتماع الاكليروس والشعب حول جسد الرب المقدس... لهذا يسمى سر الشركة، أو سر الشكر، أو سر القربان.

لذلك فالتعليم الأرثوذكسى يدخل التناول فى عمق أعماقه. إذ أننا نرى الكاهن يهتف، رافعاً الجسد فى الصينية فوق رأسه، ويقول : "**يعطى عنا خلاصاً، وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه**". فإذا خلا تعليم إنسان من هذه السمة الليتورجية، ولم يعط التناول حقه، كأساس للثبات فى المسيح، والقيامة فى الدهر الآتى، لا يكون تعليمه أرثوذكسياً. لماذا ؟

« ١ » مفاعيل الليتورجيا :

لاشك أن الليتورجيا لها مفاعيل كثيرة فى حياة أعضاء جسد المسيح، نستطيع أن نوجز بعضها فيما يلى :

١ – **الأتحاد بالسيد المسيح** : هذا هو أهم مفاعيل الليتورجيا، حسب قول الرب : "من يأكل جسدى ويشرب دمى، يثبت فى وأنا فيه" (يو٦ : ٥٦). وهكذا إذ يسرى جسد الرب ودمه الأقدسين داخل انسجة طبيعتنا، جسداً ونفساً وعقلا وروحاً، ونتحد بالرب.

٢ – **الاتحاد بإخوتنا فى الجسد** : إذ يقول معلمنا بولس : "كأس البركة التى نباركها، أليست هى شركة دم المسيح ؟ الخبز الذى نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح ؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد" (١كو١٠ : ١٦، ١٧)

لهذا لا نصلى إلا على قربانة واحدة نشترك فيها جميعاً، كأعضاء في جسد واحد، مسيح واحد.

٣ - الاتحاد بالسمائيين : فنحن ندشن أيقونات الكنيسة بالميرون إيمانا منا بأن الأيقونة **حضرة مقدسة** !! أو حضرة قديس أو قديسة !! كذلك يصرخ الشماس منبهاً إيانا : **"ارفعوا عيونكم ناحية الشرق، لتروا المذبح، وجسد ودم عمانوئيل عليه، الملائكة ورؤساء الملائكة قيام، يصرخون : قدوس قدوس قدوس .."**

كما أننا نذكر أسماء القديسين الذين رحلوا عنا في المجمع، ونصلى من أجل الراقدين الذين سبقونا. وفي نهاية القداس يصرف الأب الكاهن ملاك الذبيحة قائلا: **"ياملاك هذه الذبيحة المقدسة، أذكرنا أمام الرب ليغفر لنا خطايانا"**. وهكذا نحس بوحدتنا مع السمائيين من قديسين وملائكة.

٤ - المسئولية تجاه العالم : إذ نهتف قائلين **"آمين آمين آمين، بموتك يارب نبشر، وبقيامتك المقدسة..."** انه إحساس بالمسئولية نحو العالم. ونحو كل إنسان لم يتعرف بعد على نصيبه في الخلاص. وعلى المسيح المخلص. إن الكنيسة ليست كيانا مغلقاً أو منغلقاً. ولكنها كيان منفتح على الكل. إنها المسئولة عن بشارة الخلاص. رأسها المسيح، وروحها روح الله، والآب السماني يرعاها بحب. والسمائيون يحيطون حولها برعاية **"إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطرح كل ثقل، والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع"** (عب١٢: ١، ٢). الانسان المسيحي يخرج من القداس الإلهي، كله وداعة وحب، وكله رغبة في الحديث عن الرب، وما صنعه من أجلنا ليرحمنا ويخلصنا ويعطينا ملكوته السماوي. الافخارستيا هي الطريق إلى الكرازة !!

٥ - **الغفران والخلاص** : أن الليتورجيا هى سبيل الغفران والخلاص، بدليل صراخ الكاهن وهتافه فى الإعتراف الأخير، وكأنه يحذر كل من يهمل شركتها : "يعطى عنا خلاصاً، وغفراناً للخطايا..."، ألم يقل الكتاب المقدس : "بدون سفك دم لاتحصل مغفرة" (عب٩:٢٢)، "لنا فيه الفداء، بدمه غفران الخطايا" (أف١:٧)، "دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (١يو١:٧)، "يسوع لكى يقدس الشعب بدم نفسه، تألم خارج الباب" (عب١٣:١٢).

لهذا يصلى الكاهن فى القسمة قائلا : "أعطنى يامخلصى أن أعتبر عذابك كنزى، وإكليل الشوك مجدى، وأوجاعك تنعمى، ومرارتك حلاوتى، ودمك حياتى، ومحبتك فخرى وشكرى. ياجراح المسيح، اجرحينى بحربة الحب الإلهى. ياموت المسيح، اسكرنى بحب من مات لأجلى. يادم المسيح طهرنى من كل خطية". إن حضور القداس الإلهى فى خشوع مع تبكير، والتناول من الذبيحة المقدسة، هما خير مانحان للغفران والخلاص، إذ يصلى الكاهن قائلا: "وعند إصعاد الذبيحة على مذبحك تضمحل الخطيئة من أعضائنا بنعمتك".

٦ - **نوال الخلود** : إذ يقول الرب : "من يأكل جسدى ويشرب دمى، فله حياة أبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير" (يو٦:٥٤)، فهذا هو "خبز الحياة النازل من السماء، وغذاء الروح، وطريق الميراث. إنه بمثابة الاتصال العضوى بالإله الحى الأبدى، الذى قال : "انى أنا حى، فأنتم ستحيون" (يو١٤:١٩). لهذا يقول الآباء : "من كان بعيداً عن المذبح، فهو محروم من خبز الله". وعندنا اعتقاد أن كل من يهمل التناول، يصير مسكناً للموت، ولكل روح نجس، ونحن نعلم أنه "طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله" (مت٥:٨)، "القداسة... التى بدونها لن ير أحد الرب" (عب١٢:١٤)... إذن فالتنـاول هـو

طريق معاينة الله، ورؤيا القدير، والوصول إلى الميراث الأبدى.

إن كانت تلك مفاعيل التناول، فهل يمكنا أن نتصور تعليماً مستقيماً يخلو من الحديث عنه، وحصن الناس عليه، دون افتعال أو تصنع، ولكن فى تلقائية المؤمن المختبر ؟!

إن علامة أساسية من علامات أرثوذكسية التعليم كثرة الحديث عن الليتورجيا، وشركة الأفخارستيا، ووحدة الجسد، والثبوت فى المسيح..

«٢» الليتورجيا... أنواع صلوات :

ومن أهم ماتتسم به صلوات الليتورجيا، أنها ترفع من يشتركون فيها من درجة إلى درجة فى الصلوات بأنواعها المختلفة ولنذكر الآن بعضاً منهـا :

١ - **الشكـر** : لا توجد صلاة أرثوذكسية لا تبدأ بالشكر!! فى المزامير، فى التسبحة، فى رفع البخور فى القداس، فى الأفراح، فى الاحزان، الشكر هو السمة الأولى لصلوات الليتورجيا، فالكنيسة تريد ان تعلمنا، وأن نحيا معها، أن نشكر الله ضابط الكل، صانع الخيرات الرحوم "**فى كل حال وعلى كل حال ومن أجل كل حال**".

٢ - **التسبيـح** : وهو طقس السمائيين، تنقلنا إليه الكنيسة يوميا قبل بخور عشية، وفى نصف الليل، وقبل بخور باكر. وكأنها تريد منا أن نشعر بحضور السمائيين معنا، ونشترك معهم فى تسبيحهم، فليس فى السماء سوى التسبيح الدائم !! لهذا يصلى الكاهن قائلا : "**أعطى الذين على الأرض تسبيح السيرافيم**"... والتسابيح الكنسية هى عموماً تسابيح خلاص. "**يرسلون تسبحة الخلاص الذى لنا بصوت ممتلىء مجداً...**" بل إن ترتيب هوسات وأجزاء تسبحة نصف الليل تشكل معاً رحلة **خلاص** ففى :

١ - **الهوس الأول (خروج ١٥)** : هو هوس **"الخلاص"** إذ تحرر الشعب من عبودية فرعون، وانطلق فى طريق الحرية... تسبحة عبور البحر الأحمر.

٢ - **الهوس الثانى (مز١٣٢)** : هو هوس **"الشكر"**، فبعد التحرر من قيود العبودية، لابد من أن نشكر الله من أجل عظيم رحمته... «اشكروا الرب فانه صالح، وأن إلى الأبد رحمته».

٣ - **الهوس الثالث (الثلاثة فتية)** : فبعد العبور والشكر، يأتى **"الجهاد"**... فطريق الملكوت ليس مفروشاً بالورود فقط، ولكن بالاشواك ايضاً... لكن حتى لو واجهنا الموت فى الآتون، هناك الرابع الشبيه بأبناء الآلهة.

٤ - **المجمع والذكصولوجيات** : فالانسان الذى انتصر على موت الخطية بالنعمة الإلهية وأمانة الجهاد، يدخل إلى شركة القديسين، فيذكرهم، ويطلب شفاعتهم وصلواتهم، ويتحد بهم، ويصلى التماجيد بأسمائهم، فهم موكب الظافرين، الذين يجب أن **"ننظر إلى نهاية سيرتهم فنتمثل بايمانهم"** (عب١٣:٧).

٥ - **الهوس الرابع (مز١٤٨، ١٤٩، ١٥٠)** : وهو هوس "التسبيح" فمن دخل إلى شركة القديسين، مدعو أن يسبح معهم تسبيح السمائيين : **"سبحوا الله فى جميع قديسيه"**... فهم هناك يرنمون ترنيمة موسى عبد الله والخروف... هناك يتم القول : "أمسرور أحد فليرتل..." (يع٥:١٣)، هناك الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد، فى نور القديسين... هناك نرى الله **"وجها لوجه"**، ونحيا معه وبه وفيه إلى أبد الآبدين.

٦ - **ابصالية اليوم** : وهى عموما تسبيح للرب يسوع... رئيس خلاصنا الحبيب... نلهج باسمه مع داود قائلين : محبوب هو إسم المخلص، الذى يفتخر به المرنم قائلا : **"فإن كنا معوزين من**

أموال هذا العالم، وليس لنا شيء لكي نعطيه صدقة، فلنا الجوهرة، اللؤلؤة الكثيرة الثمن، الاسم الحلو المملوء مجداً، الذي لربنا يسوع المسيح، إذا مالازمناه في إنساننا الداخلي، فهو يجعلنا أغنياء، حتى نعطي آخرين. ليست أموال هذا العالم الزائل التي نطلبها، بل خلاص نفوسنا، بتلاوة إسمه القدوس. إذا رتلنا فلنقل بحلاوة : "يا ربنا يسوع المسيح، اصنع رحمة مع نفوسنا" (ابصالية الاربعاء).

٧ - **ثيؤطوكية اليوم** : وهي تمجيد لاهوتي رائع، يتحدث عن سر التجسد العظيم، واتحاد الطبيعتين في أمنا العذراء، السماء الثانية، الحمامة الحسنة، الشورية، القبة، الكرسي الملوكي، معمل اتحاد الطبائع... تناديها قائلين : "كل الطغمات السمائية، ينطقون بطوباويتك، لأنك أنت هي السماء الثانية، الكائنة على الأرض. باب المشارق هو مريم العذراء، الخدر النقي، الذي للختن الحقيقي. الآب اطلع من السماء، فلم يجد من يشبهك، أرسل وحيده، أتى وتجسد منك" (ثيؤطوكية الأربعاء).

ونحيل القارىء الحبيب إلى تسابيح الخلاص في «ليلة أبوكالبسيس» حيث نتلو سفر الرؤيا ونحن سهارى بجوار قبر المخلص، نرقب نزوله الخلاصي إلى الجحيم، وتحريره للسبايا هناك، الذين عاشوا وماتوا على رجاء إتيان المخلص. وهنا نسبح مع الكنيسة مجموعة ضخمة من تسابيح الخلاص من العهدين : القديم والجديد. من يتأملها يدرك ماتعيشه الكنيسة من فرح بالخلاص، وماتود أن تقدمه من تكريم للمخلص !

٣ - **الاسترحام** : إن ضعفنا البشري، وقصورنا واهمالنا، كثيراً مايتسبب في سقوطنا في الخطية، لهذا رسمت لنا الكنيسة، امتداداً لوصية السيد المسيح "من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن امسكتموها عليه،

امسكت" (يو٢٠:٢٣)، رسمت لنا سر التوبة والتوبة الارثوذكسية لها ركائز أربع :

ا- الندم على الخطية : من كل القلب...
ب- العزم على تركها : بالجهاد قدر الأستطاعة، وبأمانة...
جـ- الايمان بدم المسيح : الذى يغفر كل خطية...
د- الأعتراف أمام الأب الكاهن : وكيل سرائر الله، الذى يمتحن بالروح القدس صدق التوبة. فيعطى بالروح القدس أيضا - الحل والغفران. والكنيسة لا تكف أن تصرخ أثناء الليتورجيا : "ارحمنا يالله، تراءف علينا، اسمعنا، وباركنا، واحفظنا وأعنا، وأرفع غضبك عنا، تعهدنا بخلاصك، واغفر لنا خطايانا"... هذه الصلاة التى يصليها الكاهن فى خشوع، رافعاً يديه على مثال الصليب، حاملا صليباً عليه شمعة ترمز إلى السيد المسيح، نور العالم، المصلوب على الصليب من أجلنا.

ومن منا لاينسكب خاشعاً حينما يصلى الكاهن قائلا : «شعبك وبيعتك يطلبون إليك وبك، إلى الآب معك قائلين : ارحمنا يالله الآب ضابط الكل. ارحمنا يالله مخلصنا. ارحمنا يالله ثم ارحمنا» ؟!

وباستمرار نتلو المزمور الخمسين بعد صلاة الشكر : «أرحمنى يالله كعظيم رحمتك». ولا نكف عن الابتهال إلى الله قائلين : «يارب أرحم» عشرات المرات فى كل قداس إلهى.

٤ - الطلبات : إن الله لايبخل علينا بشىء، ويعطينا أن نسأل. ولكنه يوصينا أيضا قائلا : "لاتهتموا بشىء، بل فى كل شىء بالصلاة والدعاء مع الشكر، لتعلم طلباتكم لدى الله" (فى ٤:٦) وهكذا نطلب فى الليتورجيا من أجل: المرضى - المسافرين - الراقدين - الموضع - الكنيسة - الآباء - الاجتماعات - الخدام - كل الشعب - الأهوية - الثمار - المياه - الأرملة - الغريب - الضيف - دخول غير المؤمنين - المعترفين - القرابين - الذين عليهم دين... الخ.

ونحن نختار فرصة ممتازة بعد تقديس الأسرار بحلول الروح القدس، ونبدأ بأن نبث لله كل طلباتنا، واثقين أنه يسمع ، ويستجيب !

هذه مجرد نماذج بسيطة توضح أنواع الصلوات التى نمارسها من خلال الليتورجيا، لهذا فالمعلم الأرثوذكسى يحيا مع أولاده، هذه الصلوات المتنوعة، القادرة أن تغسل قلوبهم، وترفعهم فى مدارك الحياة الروحية.

«٣» الليتورجيا ... والكلمة :

ليس من شك أن الليتورجيا - خصوصا القبطية الارثوذكسية - تحوى قدراً كبيراً من أصحاحات الكتاب المقدس، فى قراءات مختارة بفلسفة وحكمة عميقة..

فقراءات الآحاد تتحدث عن المخلص وتدبير الخلاص، من الميلاد إلى الآلام، فالقيامة، فالصعود، فحلول روح الله، فتأسيس الكنيسة.

أما قراءات الأيام فتتحدث عن قديس اليوم وتذكاراته، من بطريرك إلى راهب قديس إلى عذراء قديسة إلى شهيد أو شهيدة. ومن يتأمل ترابط قرءات اليوم الواحد، يجد كم هى متسقة مع بعضها البعض، فى إطار سلسلة واحدة وموضوع واحد.

وفى كل قداس نقرأ ثلاثة مزامير وثلاثة أناجيل فى عشية وباكر والقداس، مع البولس والكاثوليكون والابركسيس... مع نبوات واقتباسات كثيرة من العهد القديم فى البصخة والتسبحة...

وكأن الكنيسة تريد أن تنقلنا من "**الكلمة المسموعة**" من على المنجلية إلى "**الكلمة الذاتى**" من على المذبح !

وكم من قديس كان سر قداسته آية واحدة سمعها من فوق المنجلية كالقديس انطونيوس... فى وقت عز فيه الوعظ وكثرة الكلام وحل

محلهما الخشوع والخضوع وطاعة روح الله !!

إن المعلم الأرثوذكسى لا يتجاهل أبداً علاقة الليتورجيا بالكلمة. وترتيب السنة الطقسية، وتذكارات الأيام، فالليتورجيا **تعلمنا بأساليب عدة :**

+ **بالسمع لكلمة الله من على المنجلية.**
+ **بالاتحاد بكلمة الله فى التناول.**
+ **بالاقتداء بسير القديسين فى السنكسار.**
+ **بتفسيرات الآباء لكلمات الكتاب فى العظات والميامر.**

وكما قال القديس أغسطينوس : **"أنا أقبل الانجيل من الكنيسة،** مشروحاً بالآباء، معاشاً فى القديسين".

والكنيسة كثيراً ماتقدم لنا عظات من أقوال الآباء كما فى البصخة المقدسة، والميامر المختلفة.

«٤» الليتورجيا ... والثالوث :

نحن نلتقى فى الليتورجيا بإلهنا الواحد فى الجوهر المثلث الأقانيم، بطريقة سرية رائعة :

١ - ففى **"صلاة الصلح"**، نلتقى مع **"الآب السماوى... الذى جبل الانسان على غير فساد..."** وكذلك فى **"مستحق وعادل"** حيث نرى الآب السمائى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل مافيها، والملائكة ورؤساء الملائكة قيام حوله، يرتلون قائلين : **"قدوس قدوس، قدوس، رب الجنود".**

٢ - وفى **"قدوس قدوس قدوس"**... نتقابل مع قصة الفداء، حيث نقول عن أقنوم الابن : «وفى آخر الأيام ظهرت لنا نحن الجلوس فى الظلمة وظلال الموت، بابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، هذا الذى من الروح القدس، ومن مريم العذراء، تجسد وتأنس

وعلمنا طرق الخلاص، وأنعم علينا بالميلاد الذى من فوق بواسطة الماء والروح... أحب خاصته... أسلم ذاته فداء عنا إلى الموت الذى تملك علينا... وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث، وصعد... وجلس..."

ثم تأتى صلوات التقديس. فيذكر الكاهن كيف أن الرب "أخذ خبزاً على يديه... وشكر وبارك وقدس... وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى...والكأس أيضاً...الخ..

ويوصينا أنه كلما أكلنا جسده وشربنا دمه نبشر بموته ونعترف بقيامته... فنهتف مصممين على ذلك.

٢- ثم يصيح الشماس : "اسجدوا لله بخوف ورعدة".. بينما الكاهن ينسكب فى خشوع مصلياً : "نسألك أيها الرب إلهنا، نحن عبيدك الخطاة، غير المستحقين، نسجد لك بمسرة صلاحك، ليحل روحك القدوس علينا، وعلى هذه القرابين الموضوعة، ويطهرها، وينقلها، ويظهرها قدساً لقديسيك" "ويرشم الكاهن القربانة ثلاث مرات صارخاً : "وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له"، وكذلك الكأس "وهذه الكأس أيضاً. دماً كريماً للعهد الجديد الذى له"...

وبعد ذلك... إذ يجد الكاهن عمانوئيل قائماً فى وسطنا بمجد أبيه والروح القدس يبدأ الطلبات : الكنيسة. الآباء. الأجتماعات. الخدام. الرهبان. كل الشعب. الراقدين. الزروع والأهوية والمياه. الراقدين مجمع القديسين. ثم يصلى "القسمة" ويوزع الأسرار على الشعب. فيتحد الكل بالرب يسوع. وبالسمائيين. وببعضهم البعض.

هذه لمحة سريعة عن الليتورجيا المقدسة. التى يجب أن تكون محور التعليم الأرثوذكسى. بما تتضمنه من معاعيل وصلوات وبركات، ولاهوت...

نعم .. إن التعليم الأرثوذكسى هو بالضرورة تعليم ليتورجى !!

٥
تعليم جماعى

وأقصد به أن لايتصور أحد أنه هو الكنيسة... إنه مجرد عضو فى الجسد... فإذا ماانفصل عن الجسد، فقد كل شىء !! الفرق بين الفرد والعضو... أن الفرد منفصل، وله كيانه الذاتى، أما العضو فمتصل، لا كيان له إلا من خلال شركة الجماعة !!

هل يمكن أن يختزل الجسد ليصير عضواً واحداً ؟! هذا مستحيل، ولايعود بعد جسداً !! هل يمكن أن يعزل الانسان نفسه عن شركة الجماعة، ويتصور أنه يسير فى الخط السليم ؟! هذا خطأ وخطر، عليه وعلى تابعيه !! الكنيسة جماعة «اككليسيا»، واختزالها إلى شخص واحد تدمير لمعنى الجسد، ذى الأعضاء المختلفة، والمتكاملة.

إن الرسول بولس، المدعو من الله مباشرة، والذى تسلم من الرب أساسيات المسيحية مباشرة، والذى خدم الرب كعملاق ١٤ سنة، نراه يأتى فى تواضع «ويعرض انجيله» على الرسل، ويقول : **"لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلا"** (غل٢ : ٢، ٢). وبعد حوار مع أعمدة الرسل أعطوه وبرنابا «يمين الشركة» (غل٢:٩). هذه هى جماعية الكنيسة، والشركة المسيحية الحقة !!

وحينما تعرض الرسل لبعض التساؤلات، عقدوا مجمعاً فى أورشليم، حتى لاينفرد كل شخص بتفكيره الخاص . وبعد مناقشة مستفيضة قالوا : **"قد رأى الروح القدس ونحن..."** (أع١٥ : ٢٨) .

لقد حل الروح القدس على الكنيسة، وهى مجتمعة فى العلية يوم الخمسين. وحينما «قال الروح القدس : افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه»، يقول الكتاب أن الرسل لم يكتفوا بنداء الروح.

بل "**صاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى... ثم أطلقوهما**" (أع١٣: ٢، ٣).

ومعلمنا بولس، بعد أن ظهر له الرب بنفسه فى الطريق إلى دمشق أرسله إلى حنانيا، ليعمده، ويعلمه، ويدخله إلى الجماعة الكنسية.

إن الروح الفردية خطر كبير على صاحبها وعلى مريديه !! ولم يحدث فى التاريخ أن سقط إنسان فى هرطقة ما، إلا حينما اكتفى بذاته وعزل نفسه عن الجماعة الكنسية !!

إن المعلم الأرثوذكسى، يعيش إحساس الجماعة الكنسية، ولاينفرد بذاته، أو بفكره، أو برأيه، بل يحيا فى شركة الجماعة. ويعرض أفكاره على أبيه الروحى، وعلى الجماعة كلها لتحكم فيها. فإذا ماسمع نقداً فتح أذنه فى اتضاع. وإذا مادعى للحوار جاء بقلب مفتوح، وذهن متضع !! ففى الفكر الأرثوذكسى ليس أحد معصوماً من الخطأ، فكلنا تحت الضعف، لهذا قال الرسول : "**لاتكونوا معلمين كثيرين ياإخوتى، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم، لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا**" (يع٣: ١) ان أخطر شىء فى حياة الخادم أن يفقد الأحساس بالتلمذة، وبأنه محتاج أن يتعلم، وأن يصحح نفسه من آن لآخر!

+++

لهذا "فالفردية" فى الكنيسة - كما فى المجتمع والدولة - خطر على الشخص وعلى الجماعة فى آن واحد... فلندرس معاً بعض النقاط :

أولا : الفردية إلغاء للجسد :

"الفرد" منفصل، أما "العضو" فمتصل !! «الفرد» كيان ممكن أن يستقل، وفى استقلاله وذاتيته وأنانيته كل الخطر، على نفسه، وعلى المجموع !!

أما "العضو" فهو جزء من كل، جزء من الجسد، لا يستطيع أن يحيا بمفرده، أو يؤدى أى وظيفة أو عمل بمفرده، وهو يحتاج إلى بقية الأعضاء ليشكلوا جميعا الجسد، وليكون له هو حياة وعمل، شاعراً بدوره فى الجماعة، ودور الجماعة فى حياته. ولذلك فمن المستحيل أن ينقسم العضو على الجسد !

كذلك فالجماعة تهتم بهذا العضو، إذ أن اتحاده بالجماعة لا يلغى فرادته، وتميزه، وخصوصيته، ووظيفته، الخاصة التى ربما لايقوم بها أحد غيره !! لذلك فالجماعة يجب أن تهيء للعضو الفرصة الكاملة للاسهام والعمل. أما العضو فلا يعيش إذا فصل نفسه عن الجماعة.

من

هنا يقول القديس أغناطيوس : "من لم تكن الكنيسة أمه، لا يكون المسيح آباه" !! بمعنى أنه لابد أن يتحد العضو بالجسد المقدس (الكنيسة) التى رأسها هو المسيح رب المجد !!

ونحن نعلم أن كلمة «كنيسة» = «إككليسيا» = «جماعة»... وأنها تتكون من :

+ رب المجد رأساً لها، وعريساً مقدساً...
+ الأعضاء السمائيون الذين انتقلوا إلى الفردوس...
+ الأعضاء الذين مازالوا يجاهدون على الأرض...

والانسان المسيحى لابد أن يكون كنسياً، بمعنى أنه لابد أن يتحد :

+ بالرب يسوع : فى الصلاة والانجيل والتناول...
+ بالقديسين : يتشفع بهم، ويقتدى بسيرتهم...
+ بالمؤمنين : يحس بأخوتهم، يخدمهم فى حياة الشركة...

لهذا يكاد يصرخ الرسول بولس قائلا : "لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً، اعتمدنا إلى جسد واحد، يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سقينا روحاً واحداً.

فإن الجسد أيضا ليس عضواً واحداً، بل أعضاء كثيرة. إن قالت الرجل لأني لست يداً، لست من الجسد، أفلم تكن لذلك من الجسد ؟ وإن قالت الأذن لأني لست عيناً، لست من الجسد، أفلم تكن لذلك من الجسد ؟ لو كان كل الجسد عيناً، فأين السمع ؟ لو كان الكل سمعاً، فأين الشم ؟ وأما الان فقد وضع الله الأعضاء، كل واحد منها في الجسد كما أراد. ولكن لو كان جميعها عضواً واحداً، فأين الجسد ؟ فالآن أعضاء كثيرة، ولكن جسد واحد. لا تقدر العين أن تقول لليد : لا حاجة لي إليك !! أو الرأس أيضاً للرجلين : لا حاجة لي إليكما !! بل بالأولى أعضاء الجسد التي تظهر أضعف هي ضرورية، وأعضاء الجسد التي نحسب أنها بلا كرامة، نعطيها كرامة أفضل !! والأعضاء القبيحة فينا، لها جمال أفضل !! وأما الجميلة فينا فليس لها احتياج، لكن الله مزج الجسد، معطياً الناقص كرامة أفضل، لكي لا يكون انشقاق في الجسد، بل تهتم الأعضاء اهتماماً واحداً، بعضها لبعض. فإن كان عضو واحد يتألم، فجميع الأعضاء تتألم معه، وان كان عضو واحد يكرم، فجميع الأعضاء تفرح معه. وأما أنتم فجسد المسيح، وأعضاؤه أفراداً" (١كو١٢ : ١٣-٢٧).

+++

ما أجمل هذه المعزوفة الجميلة عن الكنيسة جسد المسيح. وبدون إطالة نستطيع أن نكتشف من هذا النص الحقائق التالية :

١- المؤمن عضو، والكنيسة جسد، والمسيح رأس.
٢- هناك اختلاف أكيد بين عضو والآخر، ولكن في تكامل.
٣- هناك دور ووظيفة لكل عضو وإلا صار «زائدة» !

٤- هناك مساواة وكرامة واحدة لكل الأعضاء.
٥- هناك وحدة وتناسق فى الجسد، دون انشقاق أو انقسام.
٦- هناك احتياج لدى كل عضو من نحو الآخر.
٧- هناك إحساس مشترك بالألم والفرح.
٨- هناك خدمة من كل عضو للآخر.

هكذا يجب أن يكون إحساس كل منا. حتى لايعيش الفردية البغيضة بل يسلك فى "روح الفريق" و "روح الجماعة" التى فيها يوزع روح الله مواهب مختلفة، ولكنه يعود فيوحد الكل.

+++

ثانياً : الأختلاف لا يلغى الوحدة :

فى يوم الخمسين حل الروح القدس على جماعة التلاميذ. فى البداية اتخذ روح الله شكل ريح عاصفة ملأت كل البيت حيث كانوا جالسين... ولا شك أن الريح هنا كانت عملية إحياء روحى للتلاميذ، وبصورة جماعية !! فكلمة «ريح» تشبه فى الأصول كلمة «روح». وفى العبرية الكلمة الواحدة هى Ruah.. وتحتمل معنى الهواء والروح معاً. وهناك تشابه واضح بين الريح والروح. جعل الرب يقول لنيقوديموس : "الريح تهب حيث تشاء، وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتى، ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من ولد من الروح" (يو٣:٨).

+ فالريح سر حياة الجسد، والروح سر حياة الروح.
+ الريح لا ترى ولكن نرى ظواهرها، وكذلك الروح.
+ الريح تضغط لتحيينا مالم نتصدى لها بالرفض، والروح كذلك يلح علينا ليحى أرواحنا مالم نرفض نحن.
+ الريح لا نحس لها - كبشر - بالحدود، والروح غير محدود بطبيعته.

لهذا نقول أن الروح القدس، استجاب لصلوات الآباء الرسل الذين صلوا بنفس واحدة، وانسكب فى حياتهم كجماعة وكنيسة، وأحياهم روحياً.

ثم عاد الروح - فى نفس اللحظة - وظهر لهم كألسنة منقسمة كأنها من نار، وإستقرت على كل واحد منهم... هنا العطايا الفردية، والتميز، والخصوصية... فكل واحد كان له عطيته الخاصة، لكن الجميع تكاملوا معاً كجسد واحد.

لهذا نقول أن الجماعية لا تلغى التميز، والتميز لا يلغى الجماعية...

ولعل جهاد الجماعة الأساسى أن تكتشف عطايا الأعضاء، وتبرز طاقاتهم، وتستثمرها للبنيان الشخصى والعام...

ولعل جهاد العضو أن يظل ملتصقاً بالجماعة، سر حياته، ومعنى وجوده، إذ رأسها هو المسيح، أصل الوجود !!

ثالثاً : الفردية تلغى المرجعية :

من أخطر الأمور أن يتخذ الانسان من نفسه مرجعاً لنفسه !! وحتى إذا اتخذ من شخص آخر مرجعاً له فهو مخطىء !! فالبشر كأفراد ليست لهم ضمانات السلامة فى الفكر والقرار، ولكن الجماعة المقدسة، المتحدة بالرب، والمرتشدة بالروح، تستطيع أن تكون مرجعاً لكل مؤمن !!

لهذا فمع أن الرسول بولس أخذ ارساليته من الرب مباشرة حينما ظهر له، وحينما علمه وسلمه الايمان، إلا أنه - وبموجب إعلان - ذهب إلى «المرجع»، إلى الجماعة الكنسية، إلى جماعة التلاميذ، خشية أن يكون مسعيه باطلاً، فى الحاضر والماضى !!

"ثم بعد أربع عشرة سنة، صعدت أيضاً إلى أورشليم مع برنابا، آخذا معي تيطس أيضا. وإنما صعدت بموجب إعلان، وعرضت عليهم الانجيل الذى أكرز به بين الأمم، ولكن بالانفراد على المعتبرين، لئلا أكون أسعى، أو قد سعيت باطلا... هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على بشيء، بل بالعكس، إذ رأوا انى أوتمنت على انجيل الغرلة، كما بطرس على انجيل الختان... أعطونى وبرنابا "يمين الشركة"، لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان، غير أن نذكر الفقراء، وهذا عينه كنت أعتنيت أن أفعله" (غل٢: ١-١٠).

وفى هذا النص نرى مايلى :

١- أن بولس الذى أخذ ارساليته من الله مباشرة، لم يستنكف أن تكون الكنيسة مرجعه.

٢- أن الرسول كان قد خدم ١٤ سنة مجيدة، ولكنه الآن يخشى أن يكون سعيه باطلا.

٣- أن الرسول لم يعرض على التلاميذ فكرة خدمة الأمم ولكن مفردات الأنجيل «عرضت عليهم الانجيل الذى أكرز به»... وقد تأكد للجميع وحدة الأنجيل والبشارة.

٤- أن المرجع لم يكن واحداً ممن رافقوا السيد ولكن جماعة الرسل، وعلى الأخص بطرس ويعقوب ويوحنا... وهذا ضد الفردية فى الكنيسة، وحافز على العمل كجماعة.

٥- ان الجماعة قامت بتوزيع العمل على الرسل لخدمة اليهود والأمم.

٦- ان الجماعة اعطت الرسول بولس يمين الشركة تأكيدا لوحدة الجسد، شركة الأعضاء.

٧- التزام الجميع بخدمة الفقراء، تأكيد للاحساس بوحدة الجسد بين الشعوب المختلفة، وبين اليهود والأمم بالذات.

لذلك فالفرد الذى يسلخ نفسه من جسم الكنيسة، هو كالغصن الذى يعزل نفسه عن الكرمة، أو كالحجر الذى يفصل نفسه عن

البنيان... فليحفظنا الرب من الروح الفردية، ويعطينا أن نحيا معاً إحساس الجماعة الواحدة والجسد الواحد.

+++

رابعاً : تنوع المواهب :

فى الكتاب المقدس عدة تشبيهات للكنيسة أهمها : الجسد، والكرمة، والبنيان...

وفى كل تشبيه ملامح خاصة، أهمها أن العضو لا يحيا إلا بالثبات فى الجسد "أثبتوا فى وأنا فيكم. كما أن الغصن لايقدر أن يأتى بثمر من ذاته، إن لم يثبت فى الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فى. أنا الكرمة وأنتم الأغصان..." (يو١٥: ٤، ٥).

كذلك تحمل هذه التشبيهات معنى «التكامل»، فما معنى الحجارة بدون أعمدة، وأساسات، وسقف ؟ «أنتم فلاحة الله، بناء الله» (١كو٣: ٩) «مبنيين كحجارة حية...» (١بط٢: ٥).

كما أن هذه التشبيهات تؤكد فكرة «الاختلاف». تعمل العامود يختلف عن عمل الأساسات، وهذه تختلف عن عمل الحجارة... ولكن الاختلاف ليس خلافاً ! الاختلاف هو لأداء وظائف متنوعة، ولكن فى تناسق وتكامل ووحدة !

وقد أفرد معلمنا بولس أصحاحاً كاملا فى رسالته إلى رومية، يحدثنا فيه عن «المواهب المختلفة» إذ يقول : "ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا: أنبوة... فبالنسبة إلى الايمان، أم خدمة... ففى الخدمة، أم المعلم... ففى التعليم، أم الواعظ... ففى الوعظ، المعطى فبسخاء، المدبر فباجتهاد، الراحم فبسرور..." (رو١٢: ٦-١٦).

وفى هذا الفصل نتقابل مع نوعيات من الخدمة مثل :

١- النبـــوة : أى الإنباء بالمستقبل أو الوعظ الممسوح بالروح...
٢- الخدمـــة : الاهتمام باحتياجات الناس المختلفة «دياكونيا»...
٣- التعليـــم : شرح طريق المسيح : روحيا ولاهوتيا وعقائديا وكنسيا...
٤- الوعـــظ : حث الناس على التوبة والعودة إلى الله...
٥- العطـــاء : عطاء المادة والجهد والوقت... بسخاء.
٦- التدبيـــر : خدمات الإدارة والتنظيم والقيادة...
٧- الرحمـــة : خدمات أحباء الرب الفقراء والمرضى والمعوقين والمسنين والمكفوفين والصم والبكم والأميين والمتخلفين عقليا..الخ.
٨- المحبـــة : علاقات المحبة مع كل المواطنين.
٩- العبـــادة : خدمة الصلوات والتسبيح.
١٠- المشاركة : مع الفرحين والباكين.
١١- القديسين: خدمة الخدام أو الفقراء أيضا.
١٢- الغربـــاء : رعايتهم والاهتمام باحتياجاتهم.

+++

هذه مجرد نماذج توضح كيف أن هناك خدمات كثيرة بالكنيسة، والمفروض أن يكون لكل منا دوره، بنعمة الله، والتوجيه الروحى السليم.

خامساً : صحة الارسالية :

لا تكون الارسالية فى الخدمة صحيحة، مالم تكن من الكنيسة !! ودليلنا على ذلك أن الرب يسوع بعد أن ظهر لمعلمنا بولس فى طريق دمشق قال له : "قم، وادخل المدينة، فيقال لك ماذا ينبغى ان تفعل ؟" (أع ٩:٦). وظهر الرب لحنانيا قائلا له : "قم، واذهب إلى الزقاق الذى يقال له المستقيم، واطلب فى بيت يهوذا رجلا طرسوسيا

إسمه شاول، لأنه هوذا يصلي..." (أع٩: ١٠-١٦). ولما ذهب حنانيا إلى الرسول بولس (شاول) قال له : "أيها الأخ شاول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه، لكي تبصر وتمتلىء من الروح القدس... قم واعتمد واغسل خطاياك" (أع٩: ١٧-أع٢٢: ١٦). وطبعا كان الممكن أن يقوم الرب بعملية التعميد وفتح العينين واعطاء الروح والتعليم والارسالية مباشرة، ولكنه أراد أن يمحينا من الاحساس بالحكمة الشخصية. فاشترط أن تكون ارساليتنا من خلال الكنيسة.

وقد تكرر نفس الأمر حينما قال الروح القدس : "افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه"... وكان من الممكن أن ينطلقا فوراً للخدمة. ولكننا نجد أن الآباء الرسل "فصاموا حينئذ، وصلوا، ووضعوا عليهما الأيادي، ثم اطلقوهما" (أع١٣: ٢، ٣).

إنه دور الكنيسة في حياة أبنائها، تجهزهم للخدمة بالروح القدس، ثم ترسلهم رسميا، حتى لايرسلوا أنفسهم بأنفسهم، تتميماً لقول الرسول : "وكيف يكرزون إن لم يرسلوا" (رو١٠: ١٥).

+++

سادساً : قرارات المجامع :

مما يؤكد رفض الفردية في الكنيسة، تلك القرارات المجمعية التي لم تصدر عن أفراد بل عن مجامع مسكونية ومحلية، ليكون الحكم صائباً. وروح الله عاملا...

وكأمثلة كتابية نذكر «مجمع أورشليم» سنة ٥٠ م. والمذكور في أعمال ١٥، حينما صعد بولس وبرنابا إلى أورشليم، ليتباحثوا مع الكنيسة هناك في موضوع وجوب ختان الأمم دينياً... "ولما حضروا إلى أورشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والقسوس، فأخبروهم بكل ما صنع الله معهم" (أع١٥: ٤). وبعد "مباحثة كثيرة" اشترك فيها كثيرون

وبخاصة معلمنا بطرس ومعلمنا يعقوب، وصلوا إلى قرار نهائى قالوا فى مقدمته : "رأينا... وقد صرنا بنفس واحدة... وقد رأى الروح القدس ونحن..." (أع١٥: ٢٥-٢٨).

كذلك فى قصة الشاب الزانى فى كورنثوس، حكم عليه الرسول بولس بالقطع لحين التوبة قائلا : "باسم ربنا يسوع المسيح، إذ أنتم وروحى مجتمعون، مع قوة ربنا يسوع المسيح..." (١كو٥: ٤)... لاحظ هنا القوى الثلاث فى الكنيسة مجتمعة معاً :

+ قوة ربنا يسوع المسيح .
+ قوة الاكليروس .
+ قوة المؤمنين .

وهكذا تكون أمور الكنيسة، فى شركة وجماعية، دون فردية أو أنسلاخ !!

وقد استمرت الكنيسة على هذا المنوال تعقد المجامع المقدسة لتحسب وتقنن أمور الإيمان والعقيدة، كمجمع نيقية فى مواجهة آريوس، ومجمع القسطنطينية فى مواجهة مقدونيوس، ومجمع أفسس فى مواجهة نسطور.

إن الكنيسة جماعة، والمعلم الأرثوذكسى ملتزم بروح الجماعة. أبداً لا ينسلخ عنها، ولا يكتفى بنفسه أو بفكره، بل يرى فى الجماعة الكنسية مرجعاً أساسياً لحياته وسلوكه وأفكاره، حتى لايضل، ويضل معه آخرون !!

+++

٤
تعليم روحانى

١ - دور الروح والعقل :

من المعروف عن التعليم المسيحى عموماً، والأرثوذكسى بالذات، أنه تعليم روحانى. أى أنه يهدف إلى مخاطبة الروح، العنصر الإلهى فينا، الذى يرفعنا الى الاهتمامات الروحية والايمانية والأبدية. والروح «وديع وهادىء»، يتحدث فى هدوء، ولكنه يزلزل الأعماق فى قوة. والروح يخاطب الكيان الانسانى كله : الروح المتصلة بالالهيات، والعقل الذى يدرس ويحلل ويستنتج، والنفس التى تشعر وتنفعل وتحس، وحتى الجسد لكى ينضبط، ويعطى الروح فرصة للانطلاق.

ولايقبل التعليم الأرثوذكسى الأسلوب العاطفى أو الانفعالى فى التعليم، لأنه يخاطب جزءاً واحداً من مكونات الطبيعة البشرية، أى النفس !! فترى الانسان ينفعل ويبكى، ويفرح ويهتز... ولكن كل هذا على مستوى النفس فقط، وليس على مستوى الكيان كله.

ونقطة الخطورة هنا أن العاطفة لصيقة بالذات، فإذا مأتم الانسان صلاته العاطفية الانفعالية، شعر بنوع من الارتياح للذات، لأنه بذل جهداً ممتازاً... وهنا تكمن الخطورة... إذ يشعر الانسان أنه أنجز شيئاً، وصلى صلاة حارة ممتازة، ويجىء عدو الخير ويزرع الذات فى الداخل، ومن هنا ينحرف الاتجاه، ويضيع الانسان.

إن الصلاة الارثوذكسية هى صلاة الروح والذهن والعاطفة والجسد معاً... **الروح** : بالتأمل فى الله... **والذهن** : فى الحديث الهادىء الواعى مع الرب... **والعاطفة** : باحساس الحب النوارنى... **والجسد** : بالسجود ورفع اليدين وقرع الصدر فى خشوع... فيخرج الانسان من مخدع الصلاة أكثر اتضاعاً وهدوءاً، وسلاماً ووداعة.

فلندرس معاً هذه العناصر الأربعة التى تشترك معاً فى صنع الروحانية الأرثوذكسية...

(١) الروح :

وهى العنصر الأساسى فى الحياة الروحية، لأنها ببساطة العنصر الذى يوصلنا بالله، ويمتد بنا عبر آفاق المحدودات، عابراً بنا إلى ماوراء الزمن والمادة والموت، إلى عالم الروح والأبدية والخلود. إنه العنصر الذى من خلاله نؤمن بالله، ونتعرف على الخالق، وملائكته، وعالمه السمائى. وهو أهم عنصر يميز الانسان عن غيره من الكائنات، فإن كانت كل الكائنات تشترك معنا فى الجسد المادى . وبعضها - كالحيوان - يشترك معنا فى النفس ذات الانفعالات والغرائز، فالانسان يتميز عنها جميعا بالروح التى تتصل بالله والعالم الآخر. والعقل الذى يفكر ويدرس ويحلل ويستنتج.

ودور الروح فى الايمان أهم من دور العقل، مع أنهما يتكاملان، فالرسول يقول : "الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله، لأن من من الناس يعرف أمور الانسان إلا روح الانسان الذى فيه ؟! هكذا أيضا أمور الله لايعرفها أحد إلا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذى من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التى نتكلم بها أيضا لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح القدس، قارنين الروحيات بالروحيات. ولكن الانسان الطبيعى لا يقبل مالروح الله لأنه (أى روح الله) عنده جهالة، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً، وأما الروحى فيحكم فى كل شيء، وهو لا يحكم فيه من أحد. لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه وأما نحن فلنا فكر المسيح" (١كو٢: ١٠-١٦).

ومن هذا النص نستنتج مايلى :

١ - قال الرسول هذا الكلام إلى اهل كورنثوس اليونانيين أصحاب

الحكمة الانسانية والفلسفة البشرية. ليؤكد لهم أن **العقل - بمفرده - لا يستطيع أن يعرف الله**، لهذا كان عندهم ذلك "**الإله المجهول**"، الذى يتقونه وهم يجهلونه (أع١٧: ٢٣).

٢ - **هناك فرق بين روح الله القدوس، والروح الانسانية التى فينا**، وان كان روح الله يعمل فينا من خلال هذه الروح الإنسانية، التى وضعها الله فى داخلنا كوسيلة ترابط بين الله والأنسان.

٣ - **أن امور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله**، لذلك لا يمكننا أن نعرف الله إلا حينما نعطى أرواحنا فرصة الاتصال والتأمل والخشوع، لكى نفهم القليل عن الله غير المحدود حيث أننا محدودون.

٤ - **أهمية أن نقارن الروحيات بالروحيات**، ومعناه أننا لا نحاول أن نتعرف على الله الروح، بقياسات المادة : الزمان والمكان والحواس... الخ. فهذا خطأ بديهى، إذ لا يجوز أن نقيس الطول بالكيلوجرام، أو الوزن بالكيلومتر... لابد من استخدام الوسائل المناسبة فى دراسة الموضوع المطروح... لهذا لابد للروح الانسانية أن تتحرك فينا بالصلاة والخشوع والتأمل والقداسة والجهاد، حتى تتعرف على الله. بطريقة محدودة وجزئية، حيث أن الأنسان محدود. أما فى الأبدية فستكون المعرفة أكمل وأشمل «وجها لوجه» (١كو١٣: ١٢)، لأننا سنكون فى عالم الروح، وستأخذ الروح الانسانية حريتها فى الانطلاق والغوص والفهم والتعبير. لهذا قال أيوب الصديق : "لما يفنى جلدى، وبدون جسدى، أرى الله" (أى١٩: ٢٦). فالله لا يخضع للحواس بل يكشف نفسه للروح، كنعمة إلهية مفاضة، فى حدود قدرة الانسان المحدودة على الأستيعاب.

٥ - **فرق بين الانسان الطبيعى والانسان الروحى**، فالانسان الطبيعى مولود بالخطية، وطبيعته فاسدة، ولهذا فمن العسير بل من المستحيل أن يطرق عالم الروحيات ويتعرف عليه : الله، الملائكة،

الخلود، القديسين... الخ. أما الإنسان الروحى الذى :

+ تجدد بالمعمودية. + تقدس بالميرون.

+ اتحد بالرب فى التناول. + جدد عهوده بالتوبة.

فهذا الإنسان يستطيع بنعمة الله العاملة فيه، وبروح الله الساكن فيه، أن يرتاد العالم الروحانى... إذ لا يكون تحت الحكم (بسبب التلوث والفساد والخطية الجسدية) بل يكون له فكر المسيح له المجد.

من

هنا نقول أن الروح هى العنصر الأول فى الحياة المسيحية، التى نسميها دائماً الحياة الروحية، تقديراً لعنصر الروح الانسانية فى اتصالها بالله، ودخولها إلى عالم الميتافزيقيا (الماورانيات أو ماوراء الطبيعة).

وأقتبس هنا قولا مأثوراً لقداسة البابا شنودة الثالث : "**إن الحياة الروحية معناها أن يخضع الجسد للروح، وتخضع الروح الانسانية للروح القدس**"

(٢) العقل :

يخطىء من يظن أن العقل، العطية الإلهية للانسان، والعنصر الثانى الذى يميز الانسان عن بقية الكائنات، يخطىء من يظن أنه ليس له دور فى الحياة المسيحية. بل إنها لجريمة خطيرة محاولة تغييب العقل فى الحياة الروحية، بحيث يظل الذهن «بلا ثمر». ويكفينا دليلا على ذلك طلب الرسول بولس من أبنائه فى كورنثوس أن يصلوا بالذهن وليس بالروح فقط، إذ يقول : "من يتكلم بلسان، فليصل، لكى يترجم. لأنه إن كنت أصلى بلسان، فروحى تصلى، وأما ذهنى فهو بلا ثمر، فما إذاً ؟ أصلى بالروح، وأصلى بالذهن أيضاً. أرتل بالروح، وارتل بالذهن أيضاً. وإلا فإن باركت بالروح، فالذى يشغل مكان العامى كيف يقول : آمين، عند شكرك، لأنه لا يعرف ماذا تقول، فإنك أنت

تشكر حسنا، ولكن الآخر لا يبنى ! أشكر إلهى أنى أتكلم بألسنة أكثر من جميعكم، ولكن فى كنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهنى، لكى أعلم آخرين أيضاً، أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان . أيها الأخوة، لا تكونوا أولاداً فى أذهانكم، بل كونوا أولاداً فى الشر، وأما فى أذهانكم، فكونوا كاملين» (١كو١٤: ١٣-٢٠).

ومن هذا النص نستنتج مايلى :

١ - **ان موهبة التكلم بألسنة، كانت آية لغير المؤمنين**، لدرجة أن الرسول أراد أن يحد منها مالم تكن تصاحبها موهبة ترجمة الألسنة. معنى ذلك أن **اللسان كان لغة مفهومة، يفهمها غير المؤمن**، ويتعجب حين يرى صياداً يهودياً يتكلم بها دون تعليم سابق، كمعجزة تشهد لعمل روح الله فى الآباء الرسل. أما تحريك عضلات الفم والفك واللسان بهذيان غير مفهوم، فهو ليس موهبة أو معجزة بأية مقاييس، بل هى انفعالات نفسية، نتيجة التركيز على نوال هذه الموهبة، وكأنها العلامة الوحيدة على عمل روح الله، مع أن روح الله له مواهب عديدة أخرى.

٢ - **كان لابد من موهبة مصاحبة لها، هى موهبة ترجمة الألسنة**، لكى يستفيد المؤمنون العاديون مما قيل بلسان... وربما يمكننا أن نتصور - فى أورشليم المدينة السياحية والدينية - أن جنسيات كثيرة تتقابل فيها فى الأعياد، لكل لغته التى ولد فيها، مع يهود الشتات القادمين من أنحاء الأرض، وقد تعلموا لغات هذه البلاد، مع لغتهم العبرية. الكل أجتمع معاً، فتحدث الرسل بألسنة، أى بلغات مختلفة، فآمن كثيرون، حيث رأوا هذه المعجزة، أن الرسل يتكلمون بلغات لم يكونوا يعرفونها من قبل. ووسط هذا الجمع الحاشد - يوم الخمسين - آمن ثلاثة آلاف نفس، بعد أن استمعوا إلى خطاب معلمنا بطرس بالعبرانية، التى يعرفها الجميع : الأمم المتهودون، ويهود الشتات . هذا عن معجزة يوم الخمسين .

٣ - أما بعد ذلك، فى الكنائس المحلية. فإذا جاء لسان كآية لغير مؤمن، فقد اشترط الرسول أن يكون ذلك بلياقة وترتيب، وأن تتم ترجمة هذا اللسان حتى يستفيد الكل. فالروحانية المسيحية روحانية يشترك فيها الذهن بالفهم. والعقل المستنير يتجاوب مع نشاط الروح. أما أن تتم حركات غير مفهومة، وكلمات لا تنتمى إلى لغة ما . فهذا ليس من الروح.

٤ - هناك ارتباط وثيق بين الروح والعقل، أو بين الايمان والفهم، بدليل قول الرسول : "بالايمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله" (عب١١ :٣). فالايمان هو طريقنا إلى الفهم، وإلى حل الكثير من المعضلات العقلية. ويكفى أن نلاحظ فى نظرية دارون، التى مازالت حتى الآن مجرد نظرية، أنه توقف عند نقطتين لم يفهمهما بالعقل أو بالعلم، وهما : نشأة الحياة الأولى، والحلقة المفقودة بين الغوريلا والانسان... ولكننا بالايمان نحل هذه الأمور. فالله - أصل الوجود وواجب الوجود - هو سر الحياة... ولا توجد حلقة مفقودة بين الغوريلا والانسان، لأن الله خلق الانسان فى خط مستقل عن بقية الكائنات، إذ أعطاها العقل والروح، أما الجسد والنفس، فيمكن أن نلاحظ فيهما تشابها مع الحيوان، كدليل على وحدة الخالق. ليست مشكلة أن يتشابه الانسان مع الحيوان فى بعض أجهزة الجسم التى ستؤدى نفس الوظيفة فى كليهما، وكذلك فى الغرائز والانفعالات... وهذا التشابه دليل وحدة الخالق، والمهندس العظيم وراء هذا الكون.

٥ - ولا تعارض بين الايمان والعلم، فالايمان يسبر غور الماورائيات أما العلم فيهتم بالعالم المحسوس. بل أن الايمان يدعم العلم والعلماء، إذ يرى فى الانسان تاجاً للمخلوقات وكاهنا للخليقة، وقادراً بالحكمة المستودعة فيه أن يسبر أعماق العالم المحسوس، ويتعرف على القوانين التى أودعها الخالق فيه. ومع أن

الكتاب المقدس ليس كتاباً علمياً. إلا أنه خال من أى خطأ علمى، ولا يتعارض مع معطيات العلم، بل أنه سبق فأنبأ بكروية الأرض "الجالس على كرة الأرض" (اش٤٠: ٢٢)... وقديماً قال نيوتن، حين سئل عن شعوره وهو يكتشف أعظم قوانين الطبيعة : «كنت كطفل صغير يلهو على شاطىء محيط ضخم» وقال اينشتاين : «كلما تأملت فى هذا الكون أزددت جهلا» .

٦ - **كما أن الايمان لا يتعارض مع العقل** بل يتكاملان معاً، فالعقل المحدود لا يستطيع أن يغوص فى اللامحدود، تماماً كالمجهر الذى نستخدمه العين المحدودة لترى الكائنات الدقيقة، وكالتلسكوب الذى نستخدمه لنرى الكائنات البعيدة... فلا العين تستغنى عن التلسكوب ولا التلسكوب يستغنى عن العين... كلاهما يكمل الآخر . كذلك فالعقل يساعد على الايمان، والايمان يساعد العقل فى ارتياد العالم الآخر...

٧ - **كذلك لا تتعارض الروحانية مع الثقافة العامة** : من أدب وفن وفلسفة واجتماع وعلم نفس وتاريخ وجغرافيا ورياضيات وعلوم مختلفة... فهذه كلها نتاج العقل الانسانى، وكثير منها لولا قبس المعرفة الربانية واشراقات إلهية معينة، لما توصل الانسان إليها : كاكتشاف قوانين الطبيعة (تفاحة نيوتن) أو الازاحة عند ارشميدس، أو أكتشاف البنسلين... الخ.

خطر إذن احتقار العقل، فالعقل عطية إلهية، وقد خلقنا الله على صورته فى أمور كثيرة منها العقل والحكمة، كما أن إعمال العقل واجب على الإنسان فى دراسة الكتاب، وعلوم الكنيسة، والثقافة العامة، والتيارات المعاصرة... كل المطلوب هو أن يكون العقل مستنيراً بنور الله، من خلال المعمودية والتقديس، والاتحاد بالرب، والشبع الدائم بفكر الآباء، وكتابات الروحانيين، فيكون لنا الذهن القادر على التمييز والاستفادة.

خطورة منهج "غسل المخ" :

يوجد منهج مدروس علميا فى جامعات الخارج، هو مايسمى «بغسل المخ» أو «Brain - Wash» أو «Mind Control»... وفيه يقوم القائد - وعادة مايكون منتمياً إلى جماعة منظمة ذات أهداف محددة دينية أو سياسية - بعملية تغييب وغسل «لأمخاخ» سامعيه، بطريقة تجعلهم تابعين له تبعية مطلقة، دون وعى أو تفكير. إذ يكون لهم نوع من «الولاء الشخصى» لهذا القائد، فلا يرون منقذاً غيره، ولا معلماً سواه !! ويكونون على استعداد تام بأن يصيروا تابعين، مسلوبى الإرادة، لا يفكرون، ولايحاورون، لا القائد ولا غيره، بل يعيشون فى حالة سلبية كاملة، تفقدهم إنسانيتهم، وخصوصيتهم وقدرتهم على التمييز، أو اتخاذ القرارات المناسبة، بل هم يطلبون من القائد أن يتخذ لهم القرار عوضاً عنهم، حتى لا يتحملون مسئوليته، ولا حتى جهد التفكير والصلاة والاحساس بتوجيه الله للذهن والإرادة والكيان.

هذا المنهج الخطير يخلق نسخاً ممسوخة متكررة، يفقد كل منها تمايزه، وتنتفى بينهم الفروق الفردية، ويضيع إحساس الانسان بأنه محبوب من الله «شخصياً» و«بمفرده»، وبأسلوب يختلف عن غيره، ويتناسب مع احتياجاته ومشكلاته وطبيعته، وظروفه الروحية والتربوية والاجتماعية. كما أن هذا التابع يفقد تدريجياً دوره فى الحياة، وإحساسه بالمسئولية، وقدرته على الحوار والاتصال بالآخرين، وعلاقته بالأسرة والكنيسة والمجتمع، ويصير مجرد أداة أو آلة فى يد القائد، يوجهها كما يشاء.

ولعلنا نذكر المدعو الأب جونز، الذى استطاع أن يقنع مجموعة ضخمة من الناس أن ينتحروا معاً، أملا فى الذهاب الجماعى إلى سعادة الحياة الآخرة. إن هذا أقصى مايستطيعه القائد الفردى، ولكن هناك درجات من الخضوع، والأعتمادية، وفقدان الرؤيا والبصيرة الروحية والذهنية، تختلف بحسب قوة القائد وسيطرته على النفوس، ومدى ضعف النفسيات والشخصيات والأذهان والوعى الروحى لدى سامعيه.

كيف يحدث غسل المخ ؟

١- قائد ذكي، دارس لهذا الأسلوب، أو منتمي إلى هذه المدرسة، أو إلى تنظيم هادف إلى الـ Mind Control.

٢- يتخاطب هذا القائد مع احتياجات سامعيه الجسدية والنفسية وحتى الروحية، فيشعرون أنه يحس بآلامهم وآمالهم... هذا مريض، وذاك مستعبد لخطية ما، والثالث عنده مشكلة عائلية أو مادية... والقائد يقدم لهم حلولا هي في الحقيقة حلول غيبية .

٣- استخدام الايحاء النفسي في التأثير على السامعين مثل... جميعنا في حضرة الله... روح الله يتحرك وسطنا الآن... جميع الحاضرين سيأخذون قوة وتحرير من كل عبودية... أنا أثق أن الله يعمل الآن وفي هذا الاجتماع... سوف تخرج إنساناً جديداً تماماً... مالم تستطعه عشرات السنين سوف تستطيعه الآن... الخ.

٤- ثم تزداد قوة الإيحاء النفسي باستخدام العواطف والأنفعالات بالترنيم العاطفي، أو الهتافات التي تحرك المشاعر، بحيث يتخاطب القائد مع نفس الانسان، وليس مع روحه أو عقله...

٥- كما يتم إشراك الجسد في ذلك، إذ يقفون، ويتحركون، ويتمايلون مع الموسيقى، ويتشنجون، ويبكون، ويضحكون، وفي الغرب وفي أفريقيا يرقصون مع ايقاع الموسيقى. هذا الشحن الإنفعالي يعبر عن نفسه بحركات الجسد، والعمل هنا ليس روحياً على الأطلاق بل هو عاطفي، على مستوى النفس والجسد، وليس على مستوى الروح والذهن.

٦- وتتزايد قوة التأثير حينما يضغط القائد بيده، على رءوس تابعيه، أو ينفخ في وجوههم بعنف، وإذ يتحرك التابع إلى الخلف أو يميل برأسه إلى الوراء،

يضغط بذلك على مركز التوازن، فيتساقط على الأرض، وهكذا يتكرر سقوط الأشخاص، خصوصاً الشابات والسيدات لعاطفيتهن الشديدة، فيحس بقية التابعين بقوة هذا القائد الذي يسقط الناس على الأرض بلمسة... وبالطبع ليس هنا أي قوة روحية، ولا رشم صليب، ولا دهن زيت، بل مجرد إيحاء نفسي لأناس محتاجين وضعفاء نفسياً وعقلياً وروحياً، بالإضافة إلى الضغط على أعصاب الـ Cervical، فيفقدون الاتزان ويسقطون.

٧- وقد قال بعض هؤلاء أنهم أحسوا أنهم كانوا في السماء، والسبب طبعاً هو حاجتهم إلى الإحساس بالابتعاد عن مشكلاتهم، كنوع من «النكوص» المعروف نفسياً، كحيلة دفاعية، لانسان لايستطيع أن يواجه مشاكله، فيعود إلى نعومة الطفولة، أو ينام، أو يدمن المخدرات، أو يغيب عن الدنيا بهذا الأسلوب الايحائي.

٨- ولا شك أن أكبر خطر على هذه النفوس هو خطر «الاعتمادية» أي الـ Dependance ، بمعنى أنهم يعتمدون تماماً على القائد في كل شيء، فتراهم :

أ- يكفون عن التفكير الشخصي، ويطلبون من القائد أن يقول لهم نعم أو لا في أمور حياتهم.
ب- يدمنون سماع هذا القائد، حتى يحصلوا على الجرعة المهدئة منه.
جـ- وبالطبع لا يستطيعون سماع غيره، فقد أدمنوا هذا القائد، واعتمدوا عليه تماماً.
د- يفقدون شخصيتهم الطبيعية والروحية، فقد اتحدوا بهذا القائد، وألغوا أنفسهم، ليستريحوا من أي صراع أو حوار أو مشكلة أو مسئولية.

إن هذا المنهج خطير جداً على نفوس وعقول وأرواح الناس خصوصا الشبان والشابات، وينبغي الانتباه إليه، والابتعاد عنه، لينشأ الانسان إبنا لله، وعضواً في جسد الكنيسة، ومتفاعلا مع المجتمع، ومسئولا عن اختياراته، ومحققاً لقصد الله من حياته، ومحتفظاً بفرادته وتميزه حسب المواهب والوزنات التي أعطاها له الرب.

ولعل (١كو١٢) و (رو١٢) يقدمان لنا الجسد الواحد، ذي الأعضاء المختلفة والمتناسقة المتكاملة والمتعاونة، المتحدة بالروح القدس والمحبة، لنمو «الجماعة» (وليس فقط «الفرد») في كنيسة المسيح.

ب – مشاركة النفس والجسد :

فى الروحانية الأرثوذكسية لا يكفى أن تشترك الروح والعقل، بل لابد من اشتراك النفس والجسد...

ثالثاً : مشاركة النفس :

النفس الإنسانية هى منبع الغرائز، والاحتياجات النفسية، والدوافع العامة، والعواطف، والعادات، والاتجاهات... والروحانية الأرثوذكسية تشترك فى تكوينها كل هذه العناصر مجتمعة... فالرب يسوع يقدس الكيان الانسانى جملة وتفصيلا... ويعيد خلقة الانسان بالمعمودية والميرون... وبالتوبة والتناول... وبمسحة المرضى والزواج... من خلال الكهنوت المقدس، فيصير الانسان بكامل محتوياته وعاء للنعمة، وأداة طيعة للروح القدس. وهاك بعض الأمثلة على اشتراك النفس فى الروحانية الأرثوذكسية :

١ – الغرائز :

روح الله يقدس الغرائز الانسانية، كالجنس والجوع والعطش والاستطلاع وحب الحياة والانتماء... فتصير هذه الغرائز التى وضعها الله فينا لخدمة الانسان، واستمرار النوع الانسانى... تصير لخدمة الروح وامتداد الملكوت السماوى. فيتزوج الانسان ليعيش اتحاد الحب، وطهارة السلوك، وتعاون الحياة، وانجاب بنين للملكوت. ويمارس الزوج ابوته والزوجة امومتها، مقدمين من خلال حبهما لأولادهما حب الله، ومع حنان الرعاية حنان الله ! مع تربية واعية للابناء فى مخافة الرب !

والانسان المسيحى يحافظ على حياته لأنها وزنة لخدمة الملكوت، ولأنها عطية من الله لا يمتلكها هو !

وفيما هو يقتنى غريزة حب الأستطلاع، يسخرها بالروح لاستطلاع آفاق الخلود، وآفاق العلم الذى يمجد الله، وغير ذلك من المنجزات البناءة للانسان والانسانية !

٢ – أما حاجتنا النفسية :

فلا يشبعها سوى السيد المسيح... فهو طريقنا إلى النجاح...

+ وإلى أن يكون الإنسان **محبا ومحبوبا**...
+ وإلى اشباع الحاجة إلى **الانتماء** : إلى الأسرة، إلى الكنيسة، إلى المجتمع وإلى البشرية جمعاء.

+ وهو **مرجعنا** الوحيد والأساسى : فى كتابة وآباء الكنيسة.

+ وهو الذى **يحقق لنا قرادتنا وخصوصيتنا**، فنحن لسنا مجرد أرقام عنده، بل أسماء يحفظها ويحبها ويعتنى بها...

+ وهو سبيلنا إلى الاحساس **بالأمن** "آمنوا... فتأمنوا".

وهكذا يشبع الرب يسوع كل احتياجاتنا النفسية، فتنشأ نفوسنا فى سلام، وتحيا فى اتساق ووئام !

٣ - أما الدوافع العامة :

مثل **الاستهواء** (أى السير مع الأغلبية) **والتقليد** (أى محاكاة الغير فى مسالكهم)، فالرب يسوع يقدس هذه الدوافع العامة فلا أسير مع الأغلبية حتى فى الخطأ، بل تكون لدى المرونة القوية، التى تتجاوب مع الناس فى الصواب وتتوقف عند الخطأ، وتقلد الناس فى الأمور الحسنة، وتتجنب أن تحاكيهم فى السلبيات ! "حسنة هى الغيرة فى الحسنى" (غل٤:١٨أ) "ولا تشاكلوا هذا الدهر" (رو١٢:٢).

٤ - العواطف :

الروحانية الأرثوذكسية تتسامى بالعواطف الطبيعية فى الانسان، والتى يبنيها انفعال متكرر، ربما خطأ أو صواب !! الروحانية الأرثوذكسية تعطينا إمكانية الحب الروحى (الأغابى) الذى يتسامى على الحب الانسانى (الفيليا) ويرفض الحب الجسدانى (الايروس).

والانسان المسيحى، بالروح القدس، يحسن توجيه عواطفه وانفعالاته، فيجعلها منضبطة وعقلانية، بل يجعلها روحانية ومقدسة.

وهنا لاتطيش بنا العواطف، فتجمح هنا وهناك، حتى على حساب خلاص النفس والايمان بالمسيح !!

الروحانية الارثوذكسية لذلك لا تخاطب الانفعالات والعواطف الطبيعية فى الانسان، بالصراخ والدموع والتشنجات وتحريك البدن، والتصفيق الايقاعى، بل هى ترفض هذا كله لسببين :

١- أن العاطفة قريبة من الذات... إذ بعد هذه العبادة الانفعالية تتضخم الذات شاعرة بالمجهود الذى بذلته... وبالرضى على النفس... والاحساس بالأفضلية عن الآخرين... أو بالوصول إلى نهاية طريق الملكوت.

٢- كذلك فالعاطفة لصيقة بالجسد... وكثيراً ماتكون الانفعالات تعبيراً عن شهوات حسية... وكثيراً ماتقود العواطف الطبيعية إلى منحدرات الخطيئة !!

أما العاطفة المقدسة بالروح، فهى زينة "الروح الوديع الهادىء" (١بط٣:٤)، الذى ظهر لايليا فى صورة نسيم هادىء. لا زوبعة ولا زلزال... وبالطبع لا نقصد حرفية الكلام هنا، فكثيراً مايجىء الروح فى صورة ريح عاصف (كيوم الخمسين) أو زلزلة... ولكنا نقصد الحياة اليومية لروح الله فينا... والتى عموماً تكون هادئة رزينة... لا تحرك العواطف فينا بل الروح.

٥ - العادات :

ومن يحررنا منها سوى المسيح ؟! "فإن حرركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو٨:٣٦).

الروح القدس يحررنا من عبودية العادات : كالخطايا الشبابية، والتدخين، والمسكرات، والمخدرات... فليس غير الله من يقدسنا ويطلق طاقات الإرادة الطاهرة فينا... وليس غير الله من يحررنا من عبودية عدو الخير وأجناده الشريرة...

والعادة لا نتحرر منها سوى :

+ بالاقتناع بخطورتها الروحية والنفسية والجسدية...

+ بالاشباع الروحى، الذى يجعلنا نشبع فندوس عليها... "النفس الشبعانة تدوس العسل" (إم٢٧:٧).

+ **بالجهاد** الأمين، المسنود بنعمة الله، إذ يرى أمانتنا وصراعنا مع الشر، فيسندنا ويوجهنا إلى الخير !

٦ - الاتجاهات :

وليس مثل روح الله كقائد لإتجاهات حياتنا !! "الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو٨:١٤).

الاتجاهات فى حياتنا ربما تكون خيرة أو شريرة.. فهذا يتجه نحو خطايا الجسد، وذاك نحو المادة، والثالث نحو المزيد من العلم بهدف تمجيد الذات، والرابع نحو استثمار الوزنات لمجد الله، أو نحو الخدمة، أو الصلاة، أو الرهبنة، أو التكريس... الخ.

روح الله القدوس، حينما نعطيه الفرصة فى حياتنا، يعمل فينا، ويوجه أفكارنا وأشواقنا، ووزناتنا وطاقاتنا، لما يبنينا نحن، ولمن حولنا أيضاً.

وهكذا تكون الروحانية الأرثوذكسية متسامية بالنفس الطبيعية التى فينا، ومقدسة إياها، وليست خاضعة لها، مقودة بانفعالاتها وأخطائها.

رابعاً : مشاركة الجسد :

والجسد أيضاً يشارك فى تشكيل الروحانية الأرثوذكسية، ولكن فى رزانة وخشوع، وفى نظام والتزام !!

أ - الجسد يشترك بالحواس :

فالأذن : تسمع الصلوات والعظات.

والأنف : تشم رائحة البخور.

والعين : ترى الطقوس : الشموع والبخور والكاهن والملابس والأيقونة...

واللسان : يشترك فى الصلوات والتسبيح.

واللمس : يشترك من خلال التماس بركة الأيقونة أو الستر، او من خلال أكل الجسد المقدس وشرب الدم الكريم.

والتذوق : من خلال سر التناول "أعطنا مذاقه روحية، لنستطعم ذوق أسرارك المحيية" (القسمة المقدسة).

ب- الجسد يشترك كاملا :

فى رفع اليدين : "ليكن رفع يدى كذبيحة قدامك"...

فى قرع الصدر : إذ قرع العشار صدره نادماً وخاشعاً...

فى الميطانيا : وفيها خشوع وانسحاق، موت وقيامة، تجديد ذهنى...

فى السهر : إذ يجتهد الجسد فى المشاركة مع الروح النشطة عند قبر السيد المسيح فى ليلة أبوكالبسيس أو ليالى كيهك...

فى الصوم : إذ يقدم ذبيحة حب لله، مع الروح العابدة.

وهكذا يشترك الجسد مع الروح فى خشوع ورزانة، دون ابتذال، أو حركات خطرة، او إجهاد مخل، أو هزات عصبية ليست من روح الله ولكنها من جسد الخطيئة!!

وأجسادنا تحت الضعف، وتحتاج إلى الضبط، دون قسوة تهلكها، ودون تدليل يملكها !!

ونحن نسمع عن القديسين اهتمامهم بسلامة الجسد، وغذائه، وراحته، ليكون خادماً للروح، وشريكاً للمجد العتيد !!

والعظيم أنطونيوس خرج من مغارته بعد عشرين سنة، لا عابساً بل باشاً... ولم يكن سمينا (من فرط الكسل) أو هزيلا (من فرط النسك)... بل كان جسده متزناً وسليماً بسبب الجهاد الروحى السليم فى الصوم والنسكيات، مع مراعاة إعالة الجسد والاحتفاظ به فى صحة وسلامة !!

بعض الآيات وأقوال الآباء ...

أ- فى تحرير النفس :

آيـــات :

+ "ولكننى أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، وهكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التى فى المسيح" (٢كو١١:٣).

+ "ويل للحكماء فى أعين أنفسهم، والفهماء عند ذواتهم" (اش٥:٢١).

+ "فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار (تخمة) وسكر وهموم الحياة" (لو٢١:٣٤).

+ "... الشهوات الجسدية التى تحارب النفس" (١بط٢:١١).

+ "الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل٥:٢٤).

آبائيات :

+ لنلتمس إلى الله أن يهبنا أجنحة حمامة(مز٥٥:٦)، أى الروح القدس، لنطير إليه ونطمئن !!

(القديس مكاريوس الكبير)

+ الخطيئة... نقاومها ونصارعها ونضاربها...أما نزعها واستئصالها فهو الجزء الموضوع فى يد الله يمنحه لنا.

(القديس مكاريوس الكبير)

+ هؤلاء ينظرون إلى العالم، والأشياء الفاخرة الثمينة التى فيه، كأنه أشياء تافهة بل كريهة، بسبب الحب المضطرم فيهم .

(القديس مكاريوس الكبير)

+ عند مقاومتك للعادة بالطبع ستصادف أفكاراً مضادة من عدو

الخير... عليك أن تضاعف حربك... واعلم أن الرب قريب من نفسك وجسدك، بحيث يرى قتالك، إلا أنه يتركك لتأخذ معرفة وكفاءة إلى أن تتقوم، وأيضا تهديك النعمة إذا إزدادت ضيقتك. وبعد أن تصل إلى الراحة وتعرفك النعمة بنفسها، وتبين لك أنها تركتك تتدرب لأجل خيرك» . (القديس مكاريوس الكبير)

+ أطلب إليكم باسم ربنا يسوع المسيح، أن لا تتوانوا عن حياتكم وخلاصكم، ولا تدعوا هذا الزمان الزائل يسرق منكم الحياة الأبدية. ولا هذا الجسد اللحمى يبعدكم عن المملكة النورانية. ولا هذا الكرسى الفانى الهالك. ينزلكم على كراسى محفل الملائكة. بالحقيقة ياأولادى إن نفسى لمندهشة، وروحى منزعجة. لأننا أعطينا كلنا الحرية أن نكون قديسين، ونحن بعماتا سكرنا بأوجاع هذا العالم !

(القديس أنطونيوس الكبير).

ب- فى البخور :

آيـــات :

+ "تصعد دخان البخور مع صلوات القديسين" (رؤ٨:٤).

+ "لتستقم صلاتى كالبخور قدامك" (مز١٤١:٢).

+ "فى كل مكان يقرب لاسمى بخور" (مل١:١١).

+ "مادام الملك فى مجلسه... أفاح ناردينى رائحته" (نش١:١٢).

آبائيات :

+ موسى طلب من هرون أن يبخر وسط الجماعة، فرفع الله غضبه عن الشعب (عدد ١٦:٤٤-٤٨).

+ إعطاء البخور للكهنة هو لأخذ بركة صلواتهم، لترفع مع صلوات الشعب، كأعضاء فى جسد واحد... (الأب يوحنا كرونستادت)

+ البخور لرئيس الكهنة يقدم لروح الله والسلطان الإلهى الذى يحمله لمجد الله. (الأنبا يوساب الأبح)

جـ- فى السجود :

آيـــات :

"الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين لله... بالروح والحق" (يو٤: ٢٣، ٢٤).

+ «لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة، ممن فى السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض» (فى٢: ١٠).

آبائيات :

+ «كل مرة نسجد فيها إلى الأرض، نشير إلى كيف أحدرتنا الخطية إلى الأرض. وحينما نقوم واقفين، نعترف بنعمة الله ورحمته التى رفعتنا من الأرض، وجعلت لنا نصيباً فى السماء».
(القديس باسيليوس الكبير)

+ «المصلى يبدأ الصلاة بسجدة واحدة أو ثلاث سجدات... وفى آخر كل مزمور وتسبحة. وأثناء الصلاة عندما يرد ذكر السجود لله... أما الأوقات الممنوع فيها السجود إلى الأرض، إذ يكتفى بالانحناء أو الركوع فقط، فهى أيام السبوت والآحاد والخمسين والأعياد السيدية. وبعد تناول القربان» (قوانين الكنيسة)

+ «أخضب نفسك للسجود أمام الله (المطانيات)، لأنه هو المحرك للصلاة».

+ «إذا ضايقتنا الأفكار أثناء الصلاة وشعرنا بالملل، فلنخر على الأرض، وكتاب الصلاة فى أيدينا، ونضرع ونحن ساجدون أن يهبنا الله نشاطاً، لنكمل خدمة الصلاة».

+ «رائحة عرق التعب فى الصلاة، هى أذكى من رائحة البخور والعطور» (ماراسحق السريانى)

+ «من كثرة ضرب المطانيات، يجهد الجسد ويسخن، وتنحل منه كثرة الأفكار، ويصل القلب إلى حالة اتضاع، ويكون الانسان فى نشوة روحية عالية» (الأسقف اغناطيوس)

وهكذا

يشترك الكيان الانسانى كله فى الروحانية الأرثوذكسية :

+ الروح تتصل بالله فى خشوع.
+ العقل يتأمل ويلهج بكلام الله.
+ النفس تتسحق وتقدم مشاعرها مقدسة بالروح.
+ الجسد يتذلل ويشترك بكل قوته تمجيداً لله.

أعاننا الله، لكى نقدم له عبادة روحية سليمة.

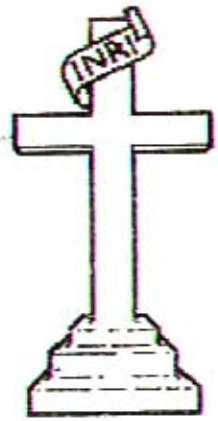

٦
تعليم آبائى

فالمسيحية لم تبدأ بنا !! هناك تراث آبائى ضخم، ممن عايشوا آباننا الرسل، ومن تلوهم فى التسلسل الرسولى المقدس !! هناك مئات المجلدات تشرح لنا اصول الحياة الروحيه، والتعليم السليم، والخدمه الحيه !!

لهذا فالمعلم الأرثوذكسى :

+ يدرس سير الآباء. فنحن نتمسك بالذات بالآباء ذوى السيرة المقدسة والتعليم المستقيم. وذلك عملا بقول الكتاب :"انظروا الى نهاية سيرتهم، فتمثلوا بإيمانهم " (عب ١٣ :٧).

+ ويدرس أقوال الآباء القديسين. فقد فسروا لنا غالبية اسفار الكتاب المقدس. وتحدثوا عن أدق تفاصيل الطريق الروحى، ومحاربات الشياطين، والسلوك المسيحى.

+ ويمزج كلماته دائما بأقوال الآباء وروحهم، ليكتسب كلامه مذاقة الروح، ووحدة الجسد، واستمرارية التقليد المقدس.

وهنا ملاحظة هامه... فرق بين ان أقرأ الآباء لأتعلم منهم فى خشوع... وبين ان أقرأ الآباء لأقتبس كلمات او عبارات مبتورة، اثبت بها تعليمى الخاص !! هذا استغلال للآباء لمصلحة الذات، وليس للاستفادة الروحية الكاملة.

إن أمامنا الكثير من كتابات الآباء باللغه العربية، ينبغى ان ننتفع بها، وهناك المزيد فى حاجة الى ترجمة. ولكن العبرة ليست بالكمية، ولكن بالكيفية التى بها نقرأ الآباء.

ولنتأمل قليلا فى هذه النقاط الثلاث، فالمعلم الأرثوذكسى :

+ يدرس سير الآباء...
+ يدرس أقوال الآباء...
+ يتفق تعليمه مع فكر الآباء...

١ – يدرس سير الآباء :

وصية الرب واضحه : "انظروا الى نهاية سيرتهم، فتمثلوا بإيمانهم" (عب ١٣:٧)... وهذا معناه ان دراسة سير القديسين وصية انجيلية، والتقصير فيها يمس صميم الحياة الروحية للانسان، وذلك من زوايا عديدة :

١ – قراءة سير القديسين حافز روحى ممتاز، فالإنسان حين يرى غيرتهم الروحية، وجهادهم اليومى، وسلوكياتهم المسيحية، وقدوتهم الحية، وفضائلهم المتنوعة، يمتص من هذا الحماس الروحى، ما يبنى حياته، ويحفزه للعمل الروحى، من صلاة الى دراسه كتابية الى أمانة جهاد الى مطانيات، ونسكيات، وأصوام، وأسهار، وتنفيذ وصايا، واتضاع، ومحبه، وإخفاء تدابير... الخ. فلاشك أن الاقتراب من حرارة القديسين، يرفع حرارة الانسان روحيا، والاقتراب من برودة اهل العالم، يصيب الأنسان ببرودة روحية قاتلة !!

+ "السائر الحكماء يصير حكيما، ورفيق الجهال يضر" (أم١٣ : ٢٠).
+ "المعاشرات الرديئة تفسد الاخلاق الجيدة" (١كو١٥ : ٣٣).
+ "اما الشهوات الشبابية فاهرب عنها، واتبع البر، والايمان، والمحبة، والسلام، مع الذين يدعون الرب من قلب نقى" (٢تى٢ : ٢٢)

إن عشرة القديسين الأحياء بالجسد مهمة ومؤثرة. وعشرة القديسين الأحياء بالروح أقوى بكثير، لان سيرتهم انتهت بنجاح وظفر. ولأنهم احياء الآن. يحسون بنا، ويرقبون جهادنا .

كم يحتاج المعلم الأرثوذكسى ان يتعرف على بقية "اهل بيت اللة" (اف٢ : ١٩) ويتعلم منهم، فتتحرك اشواقه الروحية، نحو الملكوت وخدمته !!

٢ – كذلك فقراءة سير القديسين ترفع رصيد خبرتنا الروحية، فخبرتنا بلاشك بسيطة ومحدودة، لكن دراسة سير الآباء تضيف إلينا رصيد خبراتهم الروحية، فطريق الملكوت فيه مزالق كثيرة، ومنعطفات خطرة. وقد وصفه الرب بانه "ضيق" و"كرب"... وهذا لايعنى الكآبة او الخوف

من الفشل اوالهم... بالعكس... إنه يعنى الجهاد وغضب النفس، فى معونه الهية جباره... وسعادة بعشرة المسيح... وفرح بشركة القديسين... وتعلم يومى من سيرهم المقدسة !!

نحن نضيف الى عمرنا اعمارا كاملة، حينما ندرس سير الآباء... والى رصيد خبرتنا الروحية المتعثرة، نضيف خبراتهم الناجحة !!

٣- كما ان دراسة سير الآباء تبرز لنا فضائل متنوعة، فالرب لايخلق من ابنائه نسخا كربونيه، بل هو يعطى كل نفس احتياجاتها الخاصه، ويسكب فيها مواهب وعطايا محدده، بحيث تختلف الفضائل والوزنات من شخص الى شخص، ولكنها سرعان ما تتكامل فى الجسد الواحد، بالروح الواحد !!

+ هذا اثناسيوس العظيم، أنموذج الصمود... وقف ضد العالم كله، لأنه آمن بقضيتة، واستعد للنفى والأستشهاد من اجلها...

+ وهذا انطونيوس الجبار، أنموذج التجرد... يبيع كل ماله ويعطيه للفقراء، واثقا من الكنز السمائى...

+ وهذا ارسانيوس معلم اولاد الملوك، أنموذج الاتضاع... يجىء من مكان بعيد، ليتعلم الألفا فيتا التى للرهبان البسطاء...

+ وهذا ديوسقورس بطل الأرثوذكسية، أنموذج حفظ الإيمان... المستعد ان يفقد حياته دون ان يغير حرفا مما تسلمه من الآباء...

+ وهذا بيشوى الرجل الكامل، حبيب مخلصنا الصالح، أنموذج الصلاة والحب، الذى غسل قدمى الرب...

وماذا نقول عن الآف الآباء الذين سبقونا، والذين يجب ان نسير خلفهم "على آثار الغنم" (نش١:٨) ؟ !

٤- كذلك تمنحنا دراسة سيرالآباء شفعاء جددا على الدوام ففى الآباء نجد "سحابة من الشهود... محيطة بنا" (عب١٢:١)، فهم سحابـــة :

* بيضاء علامة النقاوة .
* متسامية علامة الارتفاع .
* فريدة علامة الحنو .
* ممطرة علامة الخير .

إن من يتصل بالآباء بحب، يعرف انهم فى غاية القرب !! فهم وإن كانوا مرتفعين، إلا أنهم قريبين، (شهود)... اى انهم يشاهدون جهادنا. ويتشفعون لاجلنا امام الرب... ويصلون حتى نصل اليهم فى فردوسهم السعيد... فى حضرة رب المجد، ومحفل الملائكه القديسين !!

ه- كذلك فالمعلم الأرثوذكسى يدرس سير الآباء لأنهم **الأعضاء السمائيه** فى جسد الرب... وهل يمكن ان نتصور انفصالا بين الراس والجسد ؟! او بين نصف الجسد ونصفه الاخر ؟! مستحيل !! إنه احساس بسيط وبديهى وطبيعى، ان نشعر باتحاد كامل مع آبائنا القديسين، من خلال الجسد الواحد، ومن خلال الافخارستيا المقدسة، والشركة المستمرة بيننا وبينهم... إنهم "باقى اسرتنا" ... "اهل بيت الله" ... وهل يمكن ان ينقطع الإحساس بين عضو والجسد... ويستمر هذا العضو فى الحياه؟! وهل يمكن ان يتألم عضو، فلا تتالم معه سائر الاعضاء، او يفرح عضو فلا تفرح معه باقى الأعضاء ؟!

هذا إحساسنا حينما ندرس سيرهم، او نتشفع بهم، او ندخل فى شركة معهم... وهذا هو احساس يومى يعيشه المعلم الارثوذكسى ببساطة وتلقائية، دون تكلف او تصنع !!

٢ - يدرس أقوال الآباء ويمزج كلامه بتعاليمهم :

المعلم الأرثوذكسى لايشبع بالأرثوذكسية الحقة إلا من خلال قراءة تعاليم وتفسيرات وأقوال الآباء !!

وهذا ليس من قبيل "السلفية"، "وتمجيد الماضى" وإلغاء الحاضر، وعدم النمو فى اتجاة المستقبل !! كلا... بل ان الامر كله يتلخص فى كلمة واحدة: "المسيحية لم تبدأ بنا"... لذلك يجب ان نضرب بجذورنا فى ارض المسيحية، وفى شجرة الارثوذكسية، وفى بطون التاريخ . فلسوف نجد معينا لاينضب، وكنز لايفرغ، من اقوال ودراسات وتفاسير وتعاليم الآباء، التى تصلح لزماننا هذا، وكل زمان، فهى مرتبطه **بموضوعين أساسين** :

+ طريق الملكوت . + كلام الكتاب .

وقديماً سأل الفلاسفة القديس الأنبا أنطونيوس، كيف يستطيع ان يقضى وقته وحيداً فى برية قاحلة دون أنيس أو جليس... ودون قراءة أو كتاب... فقال لهم : "كتبى هى شكل الذين كانوا قبلى، أما إذا أردت أن أقرأ فمى كلام الله أقرأ" ... هنا دراسة لسير الاباء، وتعاليمهم، وكلمة الله الحية !!

١ - من هم الآباء ؟

صاح اليهود والوثنيون، أثناء استشهاد القديس بوليكربوس : "هذا هو أب المسيحيين" ...

ولقد كان التعليم فى الكنيسة قاصراً على الأساقفة والكهنة والشمامسة الذين يسمح لهم بذلك، لايقصد الاحتكار، بل يقصد التدقيق على سلامة التعليم، بدليل قول الرسول : "لاحظ نفسك والتعليم... تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً" (١تى٤:١٦). وكان المعلم، الذى يتلمذ ابناءه، يدعى "أبا"، كما قال الرسول بولس عن نفسه : "انا ولدتكم فى المسيح يسوع بالانجيل" (١كو ٤:١٥)... وقال عن انسيمس "ابنى... الذى ولدته فى قيودى" (فل١٠) وعن تيموثاوس "الابن الصريح فى الايمان" (١تى١:٢) ... وقال أيضاً: وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح، لكن ليس آباء كثيرون" (١كو ٤:١٥).

والذين يتساءلون عن معنى أمر السيد المسيح ألا ندعوا لنا أباً على الأرض، يجب أن يتذكروا أننا ننادى آباءنا فى منازلنا بلقب "أب" . فهل نحن نكسر وصية المسيح ؟ أبداً... ان "الحرف يقتل، لكن الروح يحيى".

(٢كو٣:٦) . ان الرب يريد أن ينبهنا أنه الأب الحقيقى والنهائى، وأن آبائنا بالجسد، لم يستطيع أن يكون كذلك إلا من خلال الأب السمائى.. وكذلك أبونا فى الروح يأخذ أبوته من الأب السمائى الذى أعطاه سر الكهنوت وروح الأبوة.

+ "عندما يتعلم إنسان من فم آخر، يقال عنه إنه ابن ذاك المعلم، ويحسب الأخير أباه" (القديس ايريناؤس)

+ "الكلام ابن النفس، لهذا ندعو الذين يعلموننا آباء لنا، ويحسب الذى يتعلم فى خضوع الابن" (القديس كليمنضس الاسكندرى)

ب – شروط الأبوة :

يشترط فيمن ندعوه "أبا" فى الكنيسة المقدسة ما يلى :

١ – أن يكون ارثوذكسى العقيدة . يعيش بفكر الكنيسة وروحها دون انحراف إيمانى .

٢ – أن يكون قد قضى حياة مقدسة . فلا قيمة للفكر والكلام، دون السلوك والسيرة .

٣ – أن تكون له مقالات أو كتب أو رسائل . سجلها له أبناؤه الروحيون، أو بعض الرحالة والمؤرخين. كما فعل باليديوس وكاسيان وروفينوس .

٤ – أن تتسق تعاليمه مع التعليم الجماعى لآباء الكنيسة. فلا يكون له فكر خاص غريب أو بدعة غير مقبولة. لهذا فسمع عبقرية أوريجينوس لا ندعوه "أبا" بل "علامة" ... لأنه خص نفسه لاغياً دور الجهاد وعمل نعمة الله... ولأنه مزج اللاهوت بفلسفات يونانية خاصة... الخ .

لهذا يقول القديس اغسطينوس : "من يحتقر الآباء، يحتقر الكنيسة كلها".

ونحن لا نقصد "عصمة" الآباء. فليس فيهم من كان معصوماً من الخطأ !! بل بالعكس طالما تحدثوا هم أنفسهم عن ضعفهم، والتمسوا الصفح من قرائهم إذا أخطأوا فى تفسير آية، أو شرح قضية لاهوتية... لكن السمة السائدة فى حياتهم وأقوالهم وكتاباتهم تكون "الارثوذكسية" ... فى التعليم والحياة !!

ج – كيف نقرأ الأباء ؟

١ – نقرأ بصفة جماعية، بمعنى أن نقرأ للكثير من الآباء، إذ يتكاملون.

ويقدمون لنا روح الكنيسة الجامعة... فهناك تخصصات ورؤى وتركيزات... لكن المهم روح الجماعة.

٢ - يجب ألا نقتبس سطراً من أقوال الآباء لتدعيم فكرة خاصة في إذهاننا، بل كما نأخذ الآباء ككل، نأخذ ما قاله كل أب ككل.

٣ - مراعاة عصر كل أب... ففي كل عصر آفات روحية واجتماعية معينة، تختلف من عصر الى عصر، وفي كل عصر تتغير مفاهيم الكلمات والتعبيرات والصيغ مع تطور اللغة... لهذا يجب أن ندقق في المفهوم الكامن وراء التعبير وليس حرفية التعبير فقط.

د - الأقباط والآباء :

١ - كان الاقباط، وما يزالون على صلة وثيقة بالفكر الآبائي للكنيسة الجامعة، فترجموا كل ما وصل إليهم، وكل ما كتبوه باليونانية، إلى لغة الشعب القبطية، حتى صار كل الشعب "لاهوتيين" ، بمعنى أنهم تعرفوا على التعليم السليم، ورفضوا كل الهرطقات والهرطقة.

٢ - لذلك وجدنا برديات كثيرة اكتشافها العلماء، مكتوبة بالقبطية، مثل بردية رسالة كليمنضس الرومانى إلى كورنثوس (محفوظة في برلين) ، وأخرى لنفس الرسالة في ستراسبورج، وثالثة لرسائل القديس اغناطيوس الانطاكى في فينا ولندن، و "الراعى" لهرماس... الخ.

٣ - كما كان للاقباط دور رائد في الكتابات اللاهوتية، كالتى قام بها القديسون أثناسيوس وكيرلس عامود الدين وتيموثاوس وغيرهم... مع كتابات اساتذة مدرسة الاسكندرية كليمنضس الاسكندرى، وبانتينوس واوريجانوس...

٤ - كذلك جاء إلى مصر كثير من الآباء المؤرخين، زاروا أديرتنا، والتقوا بأبائنا، وكتبوا عنهم، سيراً مقدسة، وأقوالا روحية، مازالت حتى الآن نبراساً للنفوس السائرة في طريق الملكوت. ونذكر من هؤلاء :

+ القديس "يوحنا كاسيان" (٣٦٠ - ٤٣٥م) ، الذى تتلمذ على آباء مصر

العظام، وسجل خبراتهم وأقوالهم فى "المناظرات" و"الدساتير" ... فى الأول سجل لنا أحاديثه مع آباء البرية. وفى الثانى قوانين ونظم الرهبنة.

+ المؤرخ "باليديوس" (٣٦٥-٤٢٥م)، الذى جاء ليتعرف على حياة آباء مصر ونساكها، والتقى بالقديس ديديموس الضرير مدير مدرسة الاسكندرية كثيراً. وسجل لنا حياة الآباء وأقوالهم فى كتابه الشهير "التاريخ اللوزياكى" أو "فردوس الآباء".

+ والمؤرخ "روفينوس" (٣٤٥-٤١٠م)، الذى جمع أحاديث لآباء مصر فى كتابة الهام "تاريخ الرهبنة" (HISTORIA MONAKHORUM)، وقد أمضى عدة سنوات فى مصر، متتلمذا على يدى القديس ديديموس الضرير.

+ وقد اعتبر القديسان باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزنيزى اوريجانوس المصرى استاذاً لهما، حتى أنهما جمعا مقتطفات من كتابة "المبادئ" (PRINCIOLES) فى مؤلف لهما اسماه "الفيلوكاليا" أى "حب الصلاح".

٥- ظهور مؤرخين كنسيين مثل "يوسابيوس القيصرى" (٢٦٠-٣٤٠م). كان له أقوى الأثر فى حفظ تراث الآباء. حتى دعى بحق: "أب علم الباترلوجى" (أى الآباء). وقد أشار فى كتابه الهام "التاريخ الكنسى" إلا أن هدفه الرئيسى كان "أن يكتب تقريراً عن خلفاء الرسل القديسين... الذين نادوا بالكلمة الإلهية شفاهاً أو كتابة" ... وبالفعل وضع يوسابيوس قائمة بكل الكتاب وكتاباتهم قدر إمكانه، وسجل لنا مقتطفات من أقوالهم.

وقد حاول آخرون استكمال ما قام به يوسابيوس، مثل سقراط وسوزومين وثيؤدرت وروفينوس...

٦- قام القديس جيروم بتأليف كتابه الهام "مشاهير الرجال" (٣٤٢-٤٢٠م). وفية تحدث عن العصر الرسولى، ومن جاءوا بعد الرسل، حتى إلى عصره هو... وقد اعتمد على كتابات يوسابيوس... ولم يدقق بدرجة كافية.

٧- عبر القرون التالية كانت هناك محاولات عديدة لتجميع كتابات الآباء، من

أهمها كتاب السنكسار القبطى.

٨ - وفى العصر الحديث ظهرت مدارس علمية حديثة تفتش عن تراث الآباء وتنشره حتى حصلنا على مجموعات عديدة، محققة علمياً، بالانجليزية والفرنسية والألمانية، كما أنها متاحة طبعا باللغات الأصلية اليونانية واللاتينية... وفى كل دراساتهم وابحاثهم، كان العلماء ورجال الدين فى كل العالم، يتطلعون إلى الكنيسة القبطية، كينبوع حى، يفيض على العالم المسيحى بالكثير من تراث الآباء، نصا وروحاً... ومازال انتاج أباء الكنيسة الآن موضع تقدير وتكريم من كنائس العالم كله.

هـ - تصنيف كتابات الآباء :

يمكن تصنيف كتابات الآباء، خاصة فى القرون الخمسة الأولى، على أساس زمنى . إذ يرى البعض أن أول مجمع مسكونى (٣٢٥م فى نيقية) يجب أن يكون فاصلاً بين نوعين من الآباء من جهة كتاباتهم وتراثهم.

فيقسمون الآباء إلى :

١ - آباء ما قبل نيقية، ويتسم تراثهم بالبساطة الشديدة مثل :

يوستينوس - ايريناوس - هرماس - تاتيان - اثيناغوراس - كليمنضس الاسكندرى - ترتليانوس - هيوليتس - نوفاتيان... الخ

٢ - آباء ما بعد نيقية، حيث بدأت المناقشات اللاهوتية رداً على هرطقات كثيرة ظهرت بعد ذلك، مثل كتابات :

اغسطينوس - ذهبى الفم - اثناسيوس - غريغوريوس النزنزى - غريغوريوس النيصصى - يوحنا الدمشقى - كيرلس الاورشليمى - امبروسيوس - كاسيان - افرايم السريانى ...الخ.

ويمكن تقسيم الكتابات الآبائية حسب اللغة التى كتبوا بها :

١ - آباء يونان (شرقيون) ... بجانب القبطية والسريانية والأرمنية
٢ - آباء لاتين (غربيون) ...

ويمكن تصنيف الآباء جغرافياً **حسب المناطق** :

١ – أباء مصر ، خاصة مدرسة الاسكندرية و آباء البرية .
٢ – الآباء الانطاكيون .
٣ – الآباء الكبادوك .
٤ – الآباء اللاتين .

ويمكن تقسيم كتابات الآباء **حسب موضوعاتها** :

١ – كتابات دفاعية .
٢ – تفسير للكتاب المقدس.
٣ – عظات ومقالات.
٤ – رسائل.
٥ – ليتورجيات كنسية .
٦ – كتابات شعر وتسبيح.
٧ – حوارات (ديالوج).
٨ – نسكيات.
٩ – قوانين كنسية .
١٠ – تاريخ كنسي .

أمام هذا المحيط الشاسع من كتابات الآباء، يقف كل منا كطفل صغير على شاطئ محيط ضخم، ينهل من كتاباتهم، ويقرأ تفسيراتهم، ويشبع بروحانيتهم، ويستفيد من خبراتهم وتعاليمهم.

وأمامنا الكثير من كتابتهم باللغة العربية، بفضل مجهودات كثيرين، أهمهم القمص تادرس يعقوب... المهم أن نقرأ، وأن نتعلم... ونعمة الرب تشملنا.

---

* جوهر هذا المقال مأخوذ عن كتاب «مدخل إلى علم الباترلوجي» للأب الحبيب القمص تادرس يعقوب.

٧
تعليم متكامل

يهدف التعليم الأرثوذكسى إلى تكوين الشخصية المسيحية المتكاملة. لهذا فهو يهتم بكل جوانب الشخصية الانسانية:

الروح، والنفس، والعقل، والجسد، والعلاقات. ونقرأ فى تعاليم الكتاب، وكتابات الآباء، وقوانين الكنيسة. الكثير والكثير فى هذه الاتجاهات المتعددة، والمتكاملة بآن واحد.

والمعلم الأرثوذكسى يكون موضوعه متكامل؟، فيه لمحة من تاريخ الكنيسة وسير القديسين، فالشجرة لها جذور. كما ان لها ساق، ويستحيل أن تزهر أو تثمر ما لم تتجذر وتشبع من الغذاء والدسم الأصلى. كذلك تجد فى حديثه - وبطريقة تلقائيه - لمحة عقيدية. فالعقيدة اساسية للبنيان الروحى السليم، ولامعنى لها بدون الحياه الاختبارية والسلوكية. كما أن حديثه لايخلو من شرح روحى لطقس كنسى، وما يحمله من دسم روحى ولاهوتى وتعليمى. ثم نجد هذا المعلم يعيش مع تلاميذه الحياه الكنسية اليومية. فيصلى معهم فى الاجبية، ويعيش معهم متعة القداس الإلهى، ويواظب على البصخة وليالى كيهك، ويقضى معهم فترات محبة وأغابى من آن لآخر، ويعلمهم الاحساس الجماعى بالجسد الواحد. وضرورة الانفتاح الودود على الآخرين، وعلى المجتمع باسره. كانوار مضيئه، وكقلوب تنشر المحبة، مهما صادفها من آلام ومعوقات!!

إنها اذن شخصية مسيحية أرثوذكسية متكاملة، تحيا الاتحاد بالرب، والشركة مع السمائيين، والوحدة مع المؤمنين، والشهادة للذين هم من خارج !! إنها شخصية متفاعلة مع العصر، والثقافة، والمجتمع، وتشعر بدورها المطلوب منها، كشهادة للمسيح الساكن فيها !!

ولنا فى مارمرقس خير مثال، حينما وجد الفلسفة اليونانية تبسط أفكارها فى الاسكندرية، فواجهها بالدراسة والاستيعاب، وبتأسيس مدرسة الاسكندرية اللاهوتية، التى درست عصرها، وثقافة أيامها، ثم أختارت ورفضت، ثم أفرزت لنا جمهرة من علماء اللاهوت، ومعلمى المسكونة !!

إن هدف التعليم الأرثوذكسى، الذى لاينفصل قط عن الرعاية الشاملة للانسان، الغنى والفقير، والانسان بكل احتياجاته ومكوناته، ولاينفصل قط عن الصلاة والتسامى الروحانى، أن يصل بالانسان الأرثوذكسى إلى شخصية متكاملة يتمجد بها الرب، فى كل حركاتها وسكناتها، وفى كل مجالات حياتها : الخاصة، والعائلية، والكنسية، والاجتماعية. ألم يوصى الرسول تلميذه غايس قائلا :(أيها الحبيب، فى كل شئ أروم أن تكون ناجحا وصحيحا، كما أن نفسك ناجحة) (٣ يو٢) ... النجاح اذن مطلوب فى كل شئ وفى كل زوايا الشخصية الانسانية.

إذن فالكنيسة تجتهد أن تعطى أبناءها وبناتها التكامل فى عدة ميادين هامة مثل :

١ - التكامل فى المعرفة.
٢ - التكامل فى الشخصية.
٣ - التكامل فى العلاقات.

أولا : التكامل فى المعرفة :

يقول معلمنا بطرس الرسول :(انموا فى النعمة، وفى معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح) (٢بط ٣:١٨). وبذلك ينصحنا الرسول بنمو متوازن ومتواز، أى بنمو مشترك، فى أتجاهين يسيران معاً فى تكامل :

أ- النمو فى النعمة، هو النمو الروحى الاختبارى، فى القلب ...
ب- والنمو فى المعرفة، هو النمو الفكرى والثقافى، فى العقل...

فالانسان الذى ينمو فى المعرفة دون النعمة...يسقط فى الكبرياء...
أما الذى ينمو فى النعمة دون المعرفة ...فيسقط فى الجهالة..
والكتاب المقدس ينصحنا أن نتحكم ...ففى سفر الأمثال يقول "اقتنى الحكمة، اقتنى الفهم"... ويدعونا ان يكون لنا (فكر المسيح) (١كو ٢: ١٦) . وان نطلب ما نحتاجه من حكمة من رب المجد (إن كان أحدكم تعوزه حكمة، فليطلب من الله، الذى يعطى الجميع بسخاء، ولايعير فسيعطى له) (يع ١: ٥)، ويفرق بين الحكمة الأرضية والحكمة السمائية بقوله إن الحكمة الارضية (نفسانية، شيطانية)، أما الحكمة التى من فوق، فهى أولا طاهرة، ثم مسالمة، مترفقة، مذعنة، مملوءة رحمة وأثمارا صالحة، عديمة الريب والرياء (يع ٣: ١٥-١٧).

وفى الكنيسة مجموعة كبيرة من العلوم، التى يجب أن تزود بها المعلم الأرثوذكسى، وكمجرد أمثلة نذكر مايلى :

١ - العلوم الكنسية :

وهى محيط شاسع ينهل منه المؤمن ليشبع، والمعلم ليفيض !! هذه بعض الامثلة :

أ- **الكتاب المقدس** : كيف وصلنا؟ لغاته - جغرافيته - تاريخ أحداثه - شخصياته - أسفاره - الحفريات - النسخ القديمة - مدارس التفسير - ترجماته - أصوله اليونانية...

ب- **اللاهوت وفروعه** : لاهوت نظرى يبحث فى الهنا المحب العظيم : وجوده - وحدانية الله - الثالوث القدوس - التجسد - الفداء - الخلود - صفات الله اللانهائية... **ولاهوت عقيدى** يدرس العقيدة الأرثوذكسية، أصولها، تقنينها - أساتيذها الكتابية - اسانيدها التقليدية - أصولها الآبائية... **ولاهوت أدبى**.. يشرح لنا الضمير والمسئولية والحرية... **ولاهوت مقارن**... يدرس الفروق فى الفهم اللاهوتى بين الطوائف المسيحية، ومناهج اللاهوت المختلفة كالمنهج الايجابى (الغربى) الذى يحاول أن يقدم لنا أوصافا إيجابية عن الله، بالقطع محدودة فى تصورنا ويستحيل أن نصل إلى أعماقها هنا، والمنهج السلبى (الشرقى) الذى يشرح لنا تعالى الله غير المحدود، واستحالة استيعاب عقولنا المحدودة له، فينفى عن الله بعض الصفات.

ويثبت له تعالى صفات أخرى كما نلاحظ فى القداس الغوريغورى : «غير موصوفة هى قوة حكمتك، وليس شىء من النطق يستطيع أن يحد لجة محبتك للبشر»... «نمجدك أيها الواحد وحده الحقيقى الله محب البشر، الذى لاينطق به، غير المرئى، غير المحوى، غير المبتدىء، الأبدى، غير الزمنى، الذى لايحد».

جـ- **لاهوت الخلاص** : السوتيريولوجى، والكرستولوجى، ويبحث فى طبيعة السيد المسيح الواحدة من طبيعتين، والفرق بين تعبيراتنا فى ذلك وتعبيرات الارثوذكس الخلقيدونيين، وإدانتنا المشتركة للاوطاخية والنسطورية...

د- **لاهوت الكنيسة** : اككليسيولوجى... ويدرس الكنيسة : رأسها المسيح، أعضاؤها السمائيون، وأعضاؤها المجاهدون على الأرض، والشركة بين الجميع، ومعنى العضوية، ومعنى الوظيفة، والروح الجماعية، وعدم الفردية...

هـ- **اللاهوت الطقسى** : الذى يغوص بنا فى أعماق الطقوس الكنسية كالقداس الإلهى، وبقية الأسرار المقدسة، والبصخة، وكيهك، والخدمات المختلفة، والتسابيح الكنسية...

و- **التاريخ الكنسى** : سواء تاريخ الكنيسة العامة (قبل وبعد الانقسام)، أو تاريخ كنيستنا القبطية الأرثوذكسية، فى العصر الرسولى، وعصر المجامع، والرهبنة، والكرازة، وكيف كانت كنيستنا مسكونية التوجه، غير منعزلة لا عن حركة الكنيسة العامة، ولا عن حركة وتيارات الفكر المعاصر كالفلسفات اليونانية الشرقية... مع دراسة للشخصيات الكنسية الهامة فى مجالات : النسك - اللاهوت - الشهادة - الخدمة...

ز- **الآبائيات** : علم الباترلوجى ببحوره الواسعة ومحيطه الواسع الذى ألمحنا إليه فى المقال السابق : من هم الآباء ؟ وكيف نقرأهم ؟ وكيف يتم تصنيفهم على أساس لغوى أو جغرافى أو تاريخى أو موضوعى ؟ وماذا كتبوا ؟

هذه مجرد أمثلة بسيطة تشرح لنا اتساع محيط المعرفة الكنسية، وحاجة الخدام أن ينهلوا من ينابيعها، للارتواء والفيض !!

(٢) الثقافة العامة :

فالخادم يجب أن يكون مثقفاً !! بمعنى أنه يجب أن يرتوى من مياه الثقافة العامة، والعلوم الأنسانية مثل :

أ- **علم نفس** : الذى يدرس - بفروعه المختلفة - ميادين النشاط الأنسانى، ويدخل بنا إلى أعماق النفس الأنسانية بتفاعلاتها، دون أن يتمكن - بامكانياته البشرية المحدودة - أن يعالج الأزمة الأنسانية والمتاعب النفسية، وهنا يتقدم الخادم الروحى، وأب الأعتراف، لشفاء النفس من خلال الأيمان بالله، وعمل النعمة، والمجتمع المسيحى، والتدرج إلى الحياة العامة .

ب- **الفلسفة** : وما أجمل أن ندرس منجزات العقل البشرى المحدود، لنضيف إليها قدرة الأيمان غير المحدودة... وكيف أن الذهن سيستريح إذ « يفهم » أن العالمين أتقنت بكلمة الله (عب ١١: ٣) ... وقد ذكرنا فيما سبق كيف أن الأيمان لا يستغنى عن العقل، والعقل لا يستغنى عن الأيمان، تماماً كالعين المحدودة، وهى تستعين بالميكرسكوب أو التلسكوب . وما أكثر الفلاسفة الذين وصلوا إلى الله بالتأمل فى اللانهاية، وفى الطبيعة، وفى الجسم الأنسانى (التشريح والهستولوجى)، وفى الأرقام .

ج- **الأجتماع** : فهذا العالم يقدم لنا دراسات جيدة فى نشأة المجتمعات والفروق بينها، والجماعات الصغيرة، وكيفية تكوينها والتعامل ... والبحوث الميدانية للظواهر المختلفة كالأدمان والأرتداد والأنحراف ... بأسلوب علمى لا يخلو من عمل روح الله القدوس ... وبهذا يتحد العلم مع الدين فى خدمة الأنسان المعاصر ...

د- **الإدارة** : فما أحوجنا إلى الأستفادة من علوم الإدارة الحديثة، فى إدارة كنائسنا وخدماتنا واجتماعتنا ... كيف نكتشف الطاقات ؟ وكيف نشغلها، وننسقها، ونتابعها، ونشجعها ؟ !! كيف ننظم العمل،

ونوزع المسئوليات ؟ كيف نتخذ القرارت بروح جماعية، لا تلغى فيها الجماعة القائد، ولا يلغى فيها القائد الجماعة ؟! ماذا عن الحوار الناجح ؟ وماذا عن وسائل الأتصال ؟

هـ- **الحاسبات الألكترونية** : والأستفادة منها فى تخزين المعلومات، والعودة إليها ... فى كشوف العضوية الكنسية ... وامكانية استخراج بيانات فنة بعينها، أو أسم بظروفه وطاقاته واحتياجاته ... سجلات الزواج والوفاة سجلات العماد .. الكتب والنشرات ... النشاطات والحلقات الدراسية ... الجمع بالكومبيوتر والليزر ... إنها لغة العصر ... فلا يجب أن نتخلف عنها .

و- **الفنون** : وقد كانت الكنيسة سباقة فى ذلك. من خلال الأيقونة، واساليب بناء الكنائس، والقلالى، والأديرة ... وأنواع الأعمال والأشغال المختلفة فى الجلد، والفخار، والفن القبطى، والموسيقى القبطية ذات التراث الخالد، وأعمال الخشب والأركيت، والتصوير والمسرح وغير ذلك .

ز- **الآداب** : كالشعر، والقصة القصيرة، والرواية الطويلة، والصحافة الكنسية، وغير ذلك من الآداب المتنوعة، التى يجب أن نستوعبها، لنقدم المسيحية من خلاله، فلاشك أنها أساليب فعالة ومؤثرة، ولاشك أن بين أبناء الكنسية طاقات ذواقة وأدبية ممتازة !!

ح- **العلوم** : كالتكنولوجيا ووسائل الأتصال الحديثة: الشريط الكاسيت - الفيديو- السنيما- والعلوم الحديثة : كالهندسة الوراثية، وغزو الفضاء، وأطفال الأنابيب ... وعلاقة ذلك كله بالدين .

التكامل فى الشخصية :

التربية الأرثوذكسية تهدف إلى تكوين شخصية متكاملة، قادرة على الحياة المسيحية التى تمجد الله، فى كل المجالات، الفردية، والعائلية، والكنسية، والمجتمعية ... فإذا كانت الشخصية هى نتاج

التفاعل بين الأنسان والبيئة ... فالكنيسة تتدخل لتساعد الأنسان فى ضبط مسار حياته الشخصية، وتقدم له بيئة مقدسة يبنى فيه شخصيته الأجتماعية، ثم ترسله إلى العالم ليشهد للمسيح الساكن فيه، بمرونة قوية، تجعله قادراً على الحركة مع أصدقائه وزملائه ومواطنيه، دون إنحراف أو ضياع !

لهذا فالشخصية المتكاملة فى منهجنا الكنسى تتسم بما يلى :

أ- روح شبعانة :

متصلة بالله، تقرأ الكتاب المقدس، وتحياه فى السلوك اليومى، وتتناول باستعداد حسن، لتثبت فى الله، والله يثبت فيها، تواظب على الأجتماعات الروحية، والقراءات الروحية، وتخدم حسب وزناتها فى المجال الكنسى .

ب- نفس متسامية :

+ تضبط غرائزها .. بالجهاد والنعمة .
+ وتشبع حاجاتها ... بعمل الله والسلوك الأنسانى الحسن .
+ وتقدس دوافعها العامة ... فلا تسير وراء الغالبية حتى فى الخطأ، بل يكون لديها الإفراز ... ولاتحاكى الناس فى أى شئ، بل تغربل العث من السمين .
+ وتوزع عواطفها ... مروضة، مقدسة، طاهرة، نحو الله والكنيسة والدراسة والمعرفة والخدمة والألحان والعبادات والأصدقاء والمخدومين ...
+ وتراقب عاداتها ... رافضة كل عادة رديئة، ومضيفة كل عادة جيدة ...
+ وتحدد اتجاهاتها ... حسب قيادة واعية بروح الله القدوس ...

ج- ذهن مستنير :

فالشخصية المتكاملة نشيطة ذهنياً، فى القراءة الدينية، والعلوم المختلفة، والثقافة العامة... بذهن مستنير قادرة على الإفراز والتمييز .. الأستفادة والنقد .. القبول والرفض ...

د - جسد سليم :

فالمسيحية أبداً لم تكن ضد الجسد، بل هى تنصحنا بأن نقويه، ونربيه، ونضبطه... فلايهزل بالنسك أو بالمرض، أو يترهل بالكسل أو التخمة ... بل يكون منضبطاً بالصوم والمطانيات وقرع الصدر والسهر ... ويكون صحيحاً بالقدر الكافى من الطعام والنوم والراحة والرياضة البدنية ...

هـ- علاقات ايجابية :

فى محيط الأسرة، والشارع، والمعهد، والكنيسة والمجتمع ... فالمسيحية لاتعلمنا الأنعزال عن المجتمع، بل أن نكون نوراً، وملحاً، نسعى كسفراء عن المسيح !! نتفاعل ونؤثر ... ونخدم، وننشر الحب والخير !!

وفى محيط البيئة :

تخلق لنا الكنيسة بيئة صالحة لنمو البذرة الروحية، من خلال نشاطات مختلفة، فيها نكتشف ضعفاتنا، ووزناتنا، ودورنا فى خدمة الجسد الواحد ... ومن أمثلة هذه النشاطات :

١- الرحلات . ٢- الأحتفالات . ٣- المعارض .
٤- الأندية الكنسية . ٥- المهرجانات . ٦- المسابقات .
٧- خدمة البيئة . ٨- خدمة القرية . ٩- خدمة المحتاجين . مثل : الفقراء - المرضى - المسنين - المعوقين - المكفوفين - الصم والبكم - المتخلفين عقلياً ...الخ.

وبالتفاعل السليم بين الأنسان والبيئة : المنزل - المدرسة - الكنيسة - المجتمع ... نصل إلى شخصية متكاملة، قادرة على الأخذ والعطاء، دون إفراط أو تفريط ... بل فى اتزان والتزام .

التكامل فى العلاقات :

فالأنسان المسيحى يجب أن يكون ناجحاً فى علاقاته، سواء فى مجال الأسرة، أو الكنيسة، أو المجتمع ... إن له علاقة حية مع الله، وعلاقة شركة مع القديسين، وهو من خلال هذه العطية الإلهية، والتطلعات السمائية، قادر أن ينشئ علاقات ناجحة فى الأسرة والكنيسة، والمجتمع.

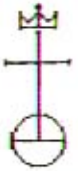

أ- فى الأسرة :

+ له علاقات جيدة مع والديه « اكرم أباك وأمك ».
+ ومع اخوته الأكبر منه .. يستفيد بخبرتهم، ويحترمهم .
+ ومع اخوته الأصغر منه ... يحنو عليهم، ويخدمهم.
+ ومع زوجته .. إذ يقدس الحياة الزوجية، ويتحد بها بالروح .
+ ومع أولاده ... إذ يجتهد فى تربيتهم المسيحية والكنسية ...
+ ومع العاملين بالأسرة إن وجدوا .. لأنه يقدر انسانيتهم ..

ب- فى الكنيسة :

+ يعرف أنه عضو... يجب أن يكون عاملا...
+ وأنه فى حاجة إلى غيره من الأعضاء...
+ فيعمل فى تواضع... وبلا غيرة أو حسد... وبلا شقاق أو نزاع... بل يحفظ سلام الخدمة وسلامتها...
+ يفهم معنى الجسد الواحد ... فلا يتأخر فى خدمة غيره ...
+ ويفهم أهمية النظام والألتزام ... فيسلك بتواضع ومحبة ووداعة مع الأكليروس والمسئولين عن الخدمة .
+ ويقدر الضعف البشرى ، فلا يدين إلا نفسه.

+ ويقدس النقد البناء ... فيقدمه فى حب ووداعة وتواضع .
+ ويعرف أن الإدانة هى ريح السموم التى تذهب بكل الثمار
+ وان الأنقسام هو نشاط جبار، لكن لحساب الشيطان !!

ج- فى المجتمع :

+ يعرف أنه جزء من نسيج الوطن ... فنحن لسنا أقلية، فالأقلية العددية لا تلغى الإصالة النوعية !!
+ ويعرف أنه شاهد للمسيح فى هذا المجتمع ... لذلك فهو يقدم النموذج المسيحى الأمين، ينشر الحب ، ويصنع الخير مع جميع الناس ...
+ هو نور للعالم، وملح للأرض، وسفير للمسيح ...
+ لا يعرف التعصب، فذهنه مستنير بروح الله وكلمات الأنجيل ...
+ ولا يعرف الطائفية، فهى أقوى معول لهدم الوطن ...
+ ويرفض العنف، فهو تعبير يرفضه إله المحبة ...
+ ومسايهم بالرأى والجهد والعمل ... للبنيان الشامل فى الوطن ...
+ ويحس بالأنتماء ... الذى يعطى قبل أن يأخذ ...
+ ويهتم بأن يكون له صوت .. لبناء الجماعة الوطنية ...

فليعطنا الرب أن نجاهد معاً من أجل خادم أرثوذكسى يمجد الله بحياته الدينية والعامة .

ونعمة الرب تشملنا جميعاً .

+++

عن هذا الكتاب ...

من الملامح الهامة للتعليم الأرثوذكسى أنه :

١- تعليم كتابـى
٢- تعليم لاهوتى
٣- تعليم ليتورجى
٤- تعليم روحانى
٥- تعليم جماعـى
٦- تعليم آبـائى
٧- تعليم متكامـل

يطلب من :

مكتبة أسقفية الشباب - بالأنبا رويس - بالعباسية.

صورة الغلاف : أيقونة قبطية للفنان د. إيزاك فانوس